موقف محمد شحرور من الوحي
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

هبة بنت صالح القرشي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

المملكة العربية السعودية

قسم العقيدة

من ١٦٤٩ إلى ١٧٢٨

ملخص بحث

موقف محمد شحرور من الوحي

دراسة تحليلية نقدية

تنوعت مواقف المفكرين المعاصرين من الوحي تنوعا كبيرا شغل المختصين والدارسين؛ لما أحدثته من قلق عميق لدى عامة المثقفين والباحثين، بتوجهها إلي تبني منهجية جديدة تخالف نهج القدماء في تفسير القرآن الكريم، هذه المنهجية تدعو إلى أمرين:

الأول: تجاوز التفسير التراثي للقرآن من مناهج وأدوات تحليلية، بحجة أنها تمثل فترة زمنية معينة أطلق عليها اسم العالمية الأولى.

الثاني: الأخذ بمناهج جديدة تلاءم الفترة الزمنية الحالية، العالمية الإسلامية الثانية.

وقد حمل لواء هذه الدعوة مجموعة من الباحثين، أبرزهم: الدكتور مُحَمَّد شحرور الأستاذ الجامعي السوري. صاحب الفكر الماركسي والذي حاول إلباسه – بشتى الطرق–كتاب الله– عز وجل– بلي أعناق نصوص الذكر الحكيم لتوافق مذهبه، تحت عنوان زخرفه بـ" الكتاب والقرآن قراءة معاصرة " الذي حاول فيه تناول القرآن الكريم بمناهج وأدوات معاصرة، مثل: المنهج البنيوي، والمنهج الجدلي...؛ فشعرت بخطورة طرحه على عامة المسلمين فضلا عن مثقفيهم، ممن قد يغتر بأسلوبه "علمي الادعاء" حيث يوهم القارئ باستيعاب نصوص القرآن وترتيبها وبتالي فهمها وصياغتها في "قراءة جديدة" بما يشارك في حل أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، وهي في الحقيقة افتراضات وتصورات محضة لا أدلة ولا براهين عليها إلا ما قام به مخالفا ومحطما لكل خصائص ونظم ومعاجم اللغة العربية، حيث قام باجتثاث المفردات من سياقها وتجريدها من معانيها الحقيقة؛ لأنه وكما أشار– إلي عالمية الفكر الإسلامي– في أحد كتبه."إنه كتاب موجه إلي كل إنسان عربي وغير عربي مؤمن أو ملحد وإلي كافة الاتجاهات العقدية، وأن كل إنسان سيجد شيئا فيه يدخل ضمن قناعته الخاصة وقد يجد ما كان يبحث عنه".

ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث لكشف زيغ وتضليل هذا الفكر، لذا سأبدأ في تحديد منهجه والأسس التي بنا عليها فكره من خلال استقراء جميع مؤلفاته حتى يسهل تشخيص الأطر التي تدخل ضمن العملية النقدية ومن خلال ذلك أوضح موقفه من ثبوت الوحي ومنهجه الذي اعتمده في تأويل "آيات الكتاب الموحى به إلي محمد أو الوحي بشقيه".

ولقد اعتمدت المنهج التحليلي النقدي في نقاشي لفكر الدكتور الشحرور ووجهتي في هذا بيان موقفه من الوحي وثبوته ومنهجه في تعامله معه مستخدمة في ذلك النقاش العقلي.

Search summary

Position Mohamed shahrour of revelation

Critical study

Contemporary thinkers positions varied from revelation varied job specialists AND SCHOLARS TO THE DEEP CONCERN AMONG PUBLIC INTELLECTUALS AND RESEARCHERS TO ADOPT A SYSTEMATIC approach violates the new ancients in interpreting the Qur'an, this methodology calls for two things:

I : Heritage interpretation of Qur'an override methods and analytical tools, arguing that they represent a certain time first world dubbed.

II : The introduction of new curricula matches current time period, the Islamic world second.

The Brigade has invited a group of researchers, notably: Dr Mohamed shahrour Syrian University Professor. Marxist thought and owner who tried to wear-in many ways-the book of Allah-the Almighty-necks gilded compatibility wise male texts, themed decoration "book and contemporary reading Quran" who tried to address the Qur'an by contemporary tools and methodologies, such as: structural method, and dialectic approach. It felt dangerous to put on Muslims as well as their intellectuals, who had deceived the scientific claim "style where the reader absorb purported texts of the Quran and arrange them in a following and understanding" new reading "involved in resolving the crisis in contemporary Islamic thought, which is actually a purely assumptions and perceptions no evidence and no The only evidence against and breaking all the characteristics and Arabic language dictionaries and systems, uproot vocabulary from context and stripped of sense really, because as pointed out-to the Universal Islamic thought-in one of his books. " It's a book addressed to Arab and non-Arab, every human being is locked or an atheist and all nodal trends, and that everyone will find something in it within his own conviction and he may find what he was looking for. "

Here lies the importance of this research to uncover the chromatic aberration and mislead this thought, so I'll select systematize and our foundations that idea through the extrapolation of all works so easily diagnose frames within cash process through the position of invariance of revelation and his methodology adopted in construing "verses inspired book b To Mohamed or revelation of naughty. "

The analytical approach adopted the cash in my discussion to my Dr thought in this, Blackbird position of revelation and proved method in dealing with using mental debate.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين، وبعد:

تنوعت مواقف المفكرين المعاصرين من الوحي تنوعا كبيرا شغل المختصين والدارسين؛ لما أحدثته من قلق عميق لدى عامة المثقفين والباحثين، بتوجهها إلي تبني منهجية جديـــدة تخالف نهج القدماء في تفسير القرآن الكريم، هذه المنهجية تدعو إلى أمرين:

الأول: تجاوز التفسير التراثي للقرآن من مناهج وأدوات تحليلية، بحجة أنها تمثل فترة زمنية معينة أطلق عليها اسم العالمية الأولى.

الثاني: الأخذ بمناهج جديدة تلاءم الفترة الزمنية الحالية، العالمية الإسلامية الثانية.

وقد حمل لواء هذه الدعوة مجموعة من الباحثين، أبرزهم: الدكتور مُحَمَّد شحرور الأستاذ الجامعي السوري. صاحب الفكر الماركسي والذي حاول إلباسه – بشتى الطرق–كتاب الله– عز وجل– بلي أعناق نصوص الذكر الحكيم لتوافق مذهبه، تحت عنوان زخرفه بـــ" الكتاب والقرآن قراءة معاصرة " الذي حاول فيه تناول القرآن الكريم بمناهج وأدوات معاصرة، مثل: المنهج البنيوي، والمنهج الجدلي...؛ فشعرت بخطورة طرحه على عامة المسلمين فضلا عن مثقفيهم، ممن قد يغتر بأسلوبه "علمي الادعاء" حيث يوهم القارئ باستيعاب نصوص القرآن وترتيبها وبتالي فهمها وصياغتها في "قراءة جديدة" بها يشارك في حل أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، وهي في الحقيقة افتراضات وتصورات محضة لا أدلة ولا براهين عليها إلا ما قام به مخالفا ومحطما لكل خصائص ونظم ومعاجم اللغة العربية، حيث قام باجتثاث المفردات من سياقها وتجريدها من معانيها الحقيقة؛ لأنه وكما أشار– إلي عالمية الفكر الإسلامي– في أحد كتبه."إنه كتاب موجه إلي كل إنسان عربي وغير عربي مؤمن أو ملحد وإلي كافة

الاتجاهات العقدية، وأن كل إنسان سيجد شيئا فيه يدخل ضمن قناعته الخاصة وقد يجد ما كان يبحث عنه".[١]

ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث لكشف زيغ وتضليل هذا الفكر، لذا سأبدأ في تحديد منهجه والأسس التي بنا عليها فكره من خلال استقراء جميع مؤلفاته حتى يسهل تشخيص الأطر التي تدخل ضمن العملية النقدية ومن خلال ذلك أوضح موقفه من ثبوت الوحي ومنهجه الذي اعتمده في تأويل "آيات الكتاب الموحى به إلي محمد أو الوحي بشقيه".

ولقد اعتمدت المنهج التحليلي النقدي في نقاشي لفكر الدكتور الشحرور ووجهتي في هذا بيان موقفه من الوحي وثبوته ومنهجه في تعامله معه مستخدمة في ذلك النقاش العقلي.

أما خطتي بعد المقدمة فهي على النحو التالي:

التمهيد، وفيه:

- ترجمة للدكتور محمد الشحرور.
- تعريف بمنهج الدكتور محمد الشحرور.

المبحث الأولى: الأسس الفكرية عند الدكتور الشحرور في تعامله مع الوحي.

١- المنهج المادي الوضعي.

٢- اعتماد على أسس النظرية الماركسية وتطبيقاتها العلمية.

٣- تبنيه مذهبا طبائعيا حديثا في العلم الحديث.

٤- نزعة الأنسنة.

المبحث الثاني: موقف الدكتور من ثبوت الوحي ومنهجه في ذلك.

- موقف الدكتور شحرور من إثبات مصدر الوحي

---

(١) انظر: الكتاب و القرآن قراءة معاصرة. محمد الشحرور. الأهالي للطباعة والنشر. سورية. ص:٤٦-٤٨. مقدمة تأويلات أهل السنة. محمد بن محمود. نشر دار الكتب العلمية. بيروت:١/٢٨٦.

التمهيد

أولًا: ترجمة للدكتور محمد شحرور.[١]

هو: "محمد شحرور ديب" ولد في الدمشقي سنة: ١٩٣٨ ميلادي. وفيها حصل على شهادة التعليم الثانوي سنة ١٩٥٧م.

ثم سافر إلى الاتحاد السوفييتي ببعثة دراسية في ١٩٥٨م لدراسة الهندسة المدنية. درس اللغة الروسية في الام الدراسي ١٩٥٨م – ١٩٥٩م.

التحق بمعهد الهندسة المدنية في موسكو عام ١٩٥٩م، وتخرج بدرجة دبلوم في الهندسة المدنية في عام ١٩٦٤م.

عيِّن معيدًا في كلية الهندسة المدنية – بجامعة دمشق عام ١٩٦٥م حتى عام ١٩٦٨م.

وأوفد إلى جامعة دبلن بأيرلندا عام ١٩٦٨م، للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية، اختصاص ميكانيك تربة وأساسات. حصل على شهادة الماجستير عام ١٩٦٩.

وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٢م. وعين مدرسًا في كلية الهندسة المدنية، جامعة دمشق عام ١٩٧٢م، لمادة ميكانيك التربة، ثم أستاذًا مساعدًا.

وما زال إلى الآن يمارس التدريس في جامعة دمشق لمادة الأنفاق والمنشآت الأرضية وميكانيك التربة.

افتتح مكتبًا هندسيًّا خاصًّا لممارسة المهنة كاستشاري منذ عام ١٩٧٣م، وما زال يمارس الاستشارات الهندسية في مكتبه الخاص في حقل ميكانيك التربة والأساسات إلى اليوم.

وقدم وشارك في استشارات فنية لكثير من المنشآت الهامة في سوريا.

له عدة كتب في مجال اختصاصه تعتبر مراجع هامة لميكانيك التربة والأساسات.

---

(١) "السيرة الذاتية" من الموقع الرسمي للدكتور المهندس: محمد شحرور، .http://shahrour.org/?page_id=2

بدأ في دراسة التتريل الحكيم وهو في إيرلندا بعد حرب ١٩٦٧م، وذلك في عام ١٩٧٠م، وقد ساعده المنطق الرياضي على هذه الدراسة واستمرت دراسته للتتريل الحكيم حتى عام ١٩٩٠م.

مؤلفاته: للدكتور شحرور مؤلفات عديدة منها:

١- "الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة" عام (١٩٩٠).

٢- "الدولة والمجتمع" عام (١٩٩٤).

٣- "الإسلام والإيمان – منظومة القيم" (١٩٩٦).

٤- "نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي – فقه المرأة – الوصية – الإرث – القوامة – التعددية – اللباس" عام (٢٠٠٠).

المبحث الأول

الأسس الفكرية عند الدكتور الشحرور في تعامله مع الوحي

من المعلوم أن الأساس هو ما يبنى عليه غيره، وكذلك الأسس الفكرية هي ما يبنى عليه المفكر مذهبه ودعوته، وقبل البدء في بيان الأسس الفكرية للشحرور، يجب أن نبين ما المقصود بمصطلح الــ"قراءة المعاصرة".

القراءة المعاصرة، هي: استخدام نظريات حديثة "جديدة" في قراءة النص الشرعي، سُمِّيت بذلك؛ تمهيدًا لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة له.[١]

وظهرت كتابات كثيرة في مسألة النص الشرعي وكيفية التعامل معه، رأى أصحابها أن العقل العربي لا بد أن يتطور، وهذا التطور يقف دونه حواجز كثيرة، على رأسها النص، فكان لا بد من إخضاع النص لعملية التطوير بتأويله؛ ليتكيَّف مع معطيات الواقع الجديدة، ويصبح نصًّا متفاعلًا مع الصيرورة التاريخية، وليس نصًّا جامدًا متعاليًا على الواقع.[٢]

وفي سبيل ذلك يقول الشحرور:"قمنا بقراءة جديدة للذكر الذي تعهد الله بحفظه، معتمدين على الأسس التالية: مسح عام لخصائص اللسان العربي معتمدين على المنهج اللغوي لأبي علي الفارسي والمتمثل في الإمامين ابن جني، وعبد القاهر الجرجاني، ومستندين إلى الشعر الجاهلي.

وقال: لقد استعرضنا معاجم اللغة فوجدنا أن أنسبها هو معجم مقاييس اللغة لابن فارس "تلميذ ثعلب" الذي ينفي وجود الترادف في اللغة، فقد تم الاعتماد عليه بشكل

---

(١) انظر: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، محمد كالو، ص٥٦ – ٥٧؛ نحن والتراث، محمد عابد الجابري، ص١١.

(٢) نقلًا من مقال: المناهج المعاصرة لقراءة النص "مناهج الفكر في الحضارة الإسلامية" فايزة عبد الله الحربي، رابط الموضوع: http://www.alukah.net/Sharia/0/42391/#_ftn3#ixzz2B9DggiCE.

أساسي دون إغفال بقية المعاجم".[١]

ويقول:"لقد انتصرت مدرسة الترادف تحت ظل الاستبداد، على مدرسة عدم الترادف، حيث تؤدي الثانية إلى دراسة التنزيل دراسة دقيقة، وتشير إلى الفروق بين الكتاب والقرآن والذكر، وبين الحكم والحكمة، وبين الإمام المبين واللوح المحفوظ، وبين الرسالة والنبوة. وتقود إلى فهم أفضل للتنزيل".[٢]

الأسس التي قام عليها منهج الشحرور في فهم النص الشرعي ثلاثة أسس هي:

منهج اللسانيات الحديث، والمنهج المادي الوضعي، ونزعة الأنسنة.

١- منهج اللسانيات الحديثة:

وعلم اللسانيات: موضوعه اللغة الإنسانية، فهو دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية.*

وهو علم جديدة وجديته في إخضاعه الظواهر اللغوية لمناهج البحث العلمي، بمعنى:جعل البحث اللغوي معتمدًا على التجريب تمامًا كالبحث التطبيقي في العلوم الحسيَّة البحتة.

وقد نشأ في ظروف تَمدد المنهجية الوضعية الغربية وبسط نفوذها على العلوم الإنسانية، وإخضاعها لمنطق الحس- بالرغم من مفارقتها له- ولذلك فإن هذا العلم "اللسانيات" علم يقوم على أرضية فلسفية وابستمولوجية "أصول معرفية" وضعية.

---

(١) انظر: الكتاب والقرآن، شحرور، من مقدمة الدكتور دك الباب لكتاب الشحرور، ص١٩-٢٤.

(٢) انظر: الدولة والمجتمع، محمد شحرور، ص٢٩. من الجدير بالذكر: أن د:شحرور لم يلتزم لا بمنهج أبي علي الفارسي، ولا على الشعر الجاهلي-كما سيظهر لنا في البحث لاحقًا- بل اعتمد على "آخر ما توصلت إليه علوم اللسانيات الحديثة من نتائج وعلى رأسها "أن كل الألسن الإنسانية لا تحوي خاصية الترادف، بل العكس هو الصحيح، وهو أن الكلمة الواحدة ضمن التطور التاريخي إما أن تملك أو تحمل معنى جديدًا بالإضافة إلى المعنى الأول وقد وجدنا هذه الخاصية واضحة كل الوضوح في اللسان العربي" انظر: الكتاب والقرآن، شحرور، من مقدمة الدكتور دك الباب لكتاب الشحرور، ص١٩-٢٤.

* علم يدرس أوضاع الأصوات والألفاظ والتراكيب وأنظمتها ويقال له "علم اللسان أو اللسانيات، أو الألسنة".انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة:٣/٢٠٢٠. مبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور. ص:١١.

أما عن الغاية التي يسير إليها هذا العلم باختصار: فهم المنطق الذي يحكم اللغات من أجل ضبط "المعنى" أو الدلالة.

والملاحظ أن "علم اللسانيات" قد اكتسب سمعة سيئة جدًّا في الأوساط العلمية الإسلامية؛ ومرجع ذلك إلي أن طليعة من الباحثين العرب استخدموه لتأكيد صحة اعتقاداتهم لا لغاية البحث العلمي.[١]

فكان الباعث الأيديولوجي (العقيدة" هو الذي يسوغ هذه الدراسات، والذي غالبًا ما يكون ماركسيًّا أو علمانيًّا، وهذا يمثل القاسم المشترك بين كل الدراسات التي طبقت البحث اللساني على القرآن الكريم.

وماركسية د. شحرور تشكل حجر الزاوية في استخدامه لذا المنهج ومنه بدت بعض التطبيقات وكأنها قد حولت القرآن الكريم إلى ما يشبه "حواشٍ ماركسية" كما نشهده في كتاب شحرور.

بينما كان من المستشرقين من قد نحى بهذا العلم بعض إلي الموضوعية والحيادية، كالمستشرق الياباني "توشهيكو إيزوتسو" والذي نشر له "معهد كيوتو للثقافة والدراسات اللسانية" في طوكيو دراسة بـــ"ــــاللغة الإنكليزية" بعنوان:"الله والإنسان في القرآن: علم دلالة التصور القرآني للعالم" في عام ١٩٦٤م والشيء الأكثر أهمية في دراسة "ايزوتسو" أنها تثبت أن الدراسة اللسانية للقرآن ليست دومًا ضد القرآن على النحو الذي شهده المجتمع العلمي الإسلامي في بعذ التطبيقات العربية للسانيات على القرآن. كما وتعتبر دراسة المفكر السوداني"محمد أبو القاسم حاج حمد" وعنوانها:"العالمية الإسلامية الثانية" عام ١٩٧٩م أول هذه التطبيقات، حيث كانت تلك الفترة بداية لتسرب اللسانيات إلى كل حقول المعرفة الإنسانية، ودخولها العالم العربي. ودشنت دراسة المهندس السوري محمد شحرور "الكتاب والقرآن" عام

---

(١) راجع: مقال المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، أ. عبد الرحمن الحاج إبراهيم، شبكة الفكر المعاصر، على رابط: http://www.fikrweb.net/news115.html.

١٩٩٠م مرحلة مهمة لهذا النوع من الدراسات، حيث تحولت "القراءة المعاصرة" للقرآن منذ ذلك الوقت إلى ظاهرة واضحة ومتكررة.

٢- المنهج المادي "الوضعي":

يقول: د محمد شحرور:"العلاقة بين الوعي والوجود المادي هي المسألة الأساسية في الفلسفة، وقد انطلقنا في تحديد تلك العلاقة من أن مصدر المعرفة الإنسانية هو العالم المادي خارج الذات الإنسانية".(١)

وهو يستند في منهج المادي إلى قاعدة أساسية تقوم على اعتبار العالم الخارجي المادي هو الذي يمثل الحقيقة الكبرى "المادية الديالكتيكية"، وأن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل واعي، يقوم على أساس أن المادة سابقة في الوجود، وأن الفكر انعكاس لها، وهي غير خاضعة لمصدر آخر، وهو عين كلام "ستالين" حيث يقول:"تقوم المادية الفلسفية على مبدأ آخر، وهو: إن المادة والطبيعة والكائن هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك أو الشعور، بصورة مستقلة عنه، وإن المادة هي عنصر أول؛ لأنها منبع الإحساسات والتصور والإدراك، بينما الإدراك عنصر ثان مشتق؛ لأنه انعكاس المادة "انعكاس الكائن"، وأن الفكر هو نتاج المادة، لما بلغت من تطورها درجة عالية من الكمال".(٢)

ويقوم هذا المنهج على أن العلم أو "المعرفة" التي تصدر عن المادة، تقدم على كل علم آخر عند التصادم، سواء كان مصدر هذا العلم الوحي أم العقل، وفي هذا المنهج يكون التعامل مع النصوص الشرعية بالرفض التام لها، وعدم الاعتراف بمصدرها، إلا أن أصحاب الفكر المادي المندسين بين المسلمين، لا يعلنون هذا الرفض جهرة، وإنما يعملون على إلغاء دلالة النصوص، واعتبارها غير موجودة، والحصول على العلم من مصادر المادة، أو الواقع، أو اعتبار التاريخ مصدرًا لتلك المعرفة، وكذلك أحداث

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٤٢.

(٢) المادة، ستالين، ص٢٩، من النزعة المادية، التل، ص٩١.

الكون، أو التصريح بالاعتماد على روح النص، والابتعاد عن النصوص ذاتها.

يقول شحرور: "والقرآن حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني. وفهم هذه الحقيقة لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي، وعلى رأسها الفلسفة وكل العلوم الموضوعية من "كوسمولوجيا"[١]، وفيزياء وكيمياء، وأصل الأنواع أصل الكون والبيولوجيا[٢] وسائر العلوم الطبيعية. أما "الشريعة والأخلاق والعبادات والقانون والسياسة والتربية) فليس لها علاقة بالقرآن لا من قريب ولا من بعيد".[٣]

ونجده هنا جسم كلمات القرآن وجعلها تشكل الوجود الخارجي الذي عُكس منه هذا النص القرآني، والفهم المنبعث منه للعقل، ويقول:"فكلمة "الشمس" عند الله تعالى هي "عين الشمس"، وكلمة "القمر" هي "عين القمر"، وكلمة "الأنف" هي "عين الأنف"، أي أن الوجود المادي "الموضوعي" ونواميسه العامة هي عين كلمات الله. وكلمات الله هي:"عين الوجود ونواميسه العامة". ولهذا نقول: إن الله هو الحق وإن كلماته حق: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]،﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾[يونس: ٨٢]، فالوجود الموضوعي – أي المادي – خارج الوعي – أي خارج الإدراك – هو الوجود الإلهي: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]".[٤]

أما ما يخص أن كلمات الله هي الوجود الكوني، فهذا يعني عند شحرور أن كلام الله مخلوق، ويدخل كلامه ضمن تعطيل صفات الله تعالى، وهذا الرأي منسوب إلى القدرية والمعتزلة، "ومن المناسب أن نلاحظ توحيد مصطلح الحق عند شحرور من خلال الوجود الموضوعي المادي، وصلة ذلك بموضوع وحدة الوجود التي يقول بها أهل الاتحاد والحلول من القدرية، وهي مستمدة من جذور الفلسفة المادية، وأقوال الفلاسفة

---

(١) كلمة إغريقية معناها "علم الكون". انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، http://ar.wikipedia.org.

(٢) كلمة أصلها يوناني، معناها "علم الأحياء". انظر: مصدر السابق.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٠٣.

(٤) الكتاب والقرآن، شحرور ص٧٢.

الملاحدة" [١]، وهذا يبطل ما يزعمه شحرور من أن قراءته معاصرة، فهو يأخذ برأي الغلاة من المعتزلة، ويسير على منهجهم، ويشيد بهم، ويهاجم الفقهاء جميعًا فيقول:"بانتصار الفقهاء على المعتزلة ثم قصم الفكر الإسلامي العقلاني... وضاع العقل، وأصبح النقل أساس الإسلام لا العقل، ... أما الفقهاء فلا نقول أنهم أخطئوا، ولكن نقول إنهم قضوا على دور الفكر الحر... وأصبحت العقيدة الجبرية هي العقيدة الرسمية لعامة المسلمين". [٢]

وهو بذلك يعيد ويثير مباحث كلامية، من خلال منهج الفلسفة الذي وضعوه، حول مراتب الوجود، وأن العقل وجد قبل الكلام، لذلك هو أصَّل له، وقد أثبتنا أن هذا القانون باطل، عند تطبيقه على كلام الله، لأن كلام الله صفة لله تعالى، وهي ملازمة لذاته المقدسة، ولا يتصور انفصال صفاته عنه؛ وقد ثبت في صريح القرآن أن الله تعالى، كلم موسى كما جاء في القرآن:﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤].
ونستطيع أن نجد في رأي شحرور أمرًا جديرًا بالملاحظة، وهو "الأصل الفلسفي لموضوع تعطيل صفات الباري" والذي يظهر من خلال تناول شحرور لقضية الصفات، واعتبار كلام الله– عز وجل– هو الوجود المادي، أو عين الموجودات؛ يقول د. شحرور:"أسماء الله[٣] لا تفهم إلا من خلال الوجود المادي الرحماني"[٤]، فينفي عن الله ما لم ينفيه عن نفسه، ويضع تصورًا لهذا النفي يتناسب مع منهجه المادي حيث جعل كلام الله هو المادة "الثنائية" كما جعل الله تعالى مادة "أحادية" تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا".[٥]

ويقول عن كلام الله:"هذا الوجود المادي الثنائي أطلق عليه مصطلح كلمات الله "في

---

(١) النزعة المادية، التل: ص٣١٨.
(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٨–٢٥٩.
(٣) جعل الصفات سمات لذلك يتحدث عن الصفات، بمصطلح الأسماء.
(٤) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٩.
(٥) النزعة المادية، التل، ص٣٢٨–٣٣٠.

جوهره" وآيات الله "في ظواهره"؛ لذا فإن مفهوم "كلام الله" في القرآن يعني "الوجود المادي" ولا يعني أبدًا "الفكر" ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾".(١)

ويقول عن الله: "إن عدم التناقض ليس من صفات المادة الثنائية القائمة على المتناقضات بل هي صفة لوجود موضوعي آخر غير الوجود المادي المعروف من قبلنا، وهو الوجود "المشيَّأ" الأشياء، وذلك الوجود الآخر هو وجود أحادي متزه عن صراع المتناقضات الداخلية في ذاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، وهو الله سبحانه وتعالى.(٢)

وهذا يستدعي عندهم – أي أصحاب الفكر المادي– إلغاء النبوة ذاتها، وعدم اعتبار ما يصدر عنها، لأنها تمثل مرحلة زمنية قديمة. قال شحرور مقسمًا للقرآن، لقسمين، الأول القرآن، والثاني أم الكتاب وهو ما يمثل عنده رسالة محمد ﷺ، وفيها يقول: "أما الرسالة فهي ذاتية. فما معنى الذاتي؟ لنأخذ مثلًا إحدى وصايا رب العالمين:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾[لقمان: ١٤]، فإذا أخذنا بر الوالدين لا نرى أن له وجودًا خارج الوعي الإنساني؛ فإذا علم الإنسان بوصية الله ببر الوالدين يمكن أن يبرهما أو لا يبرهما، وإذا لم يُرِد الإنسان أن يبر والديه فيمكن أن لا يبرهما.

وكذلك الصلاة، فإذا شاء الإنسان صلى وإن لم يشأ لم يصلِّ؛ أي أن كل أحكام "أم الكتاب" مرتبطة بالإنسان.

فلو افترضنا أنه قامت حرب ذرية وفني الجنس البشري فإن هذا لا يؤثر على الشمس والمريخ... ولا يؤثر على نواميس الكون والوجود؛ لأن "الانفجار الذري" هو من نواميس الوجود المادي.(٣)

ولكن في الوقت نفسه إذا فني الإنسان ولم يبق هناك جنس إنساني فتذهب معه الصلاة

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٦.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٣٠١.

(٣) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، شحرور، ص٢٩.

والصوم والحج والزكاة وبر الوالدين واجتناب شرب الخمر والميسر وتحريم الربا والعدل والظلم وكل القيم الإنسانية الفردية والاجتماعية.

هنا نفهم ما معنى الذاتي، ولهذا لم يطلق لفظة "الحق" على "أم الكتاب"؛ لأنها قواعد سلوك إنساني، وليست قوانين وجود موضوعي، بل أطلق عليها مصطلح "الرسالة"، وبها أصبح محمد ﷺ رسولًا وبلغها للناس واجتهد في تطبيق أحكامها في زمانه، وهي ليست "كلمات الله" ولا من "نواميس الوجود"؛ لأن كلمات الله حق﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾، ولا نرى في أحكام أم الكتاب مصطلح "قال الله" وهي قابلة للأخذ بها أو تركها؛ لذا فهي مناط التكليف وفيها القضاء "أي الاختيار الإنساني". أي أن الإنسان يقضي فيها بنعم أو لا، وله ملء الخيار فيها ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦].

أما "القرآن" فليس مناط التكليف ولا يوجد فيه أي أحكام وأوامر تكليفية فهو حق حتمي ساحق ماحق، لذا فهو مناط القدر في قانونه العام، ومناط المعرفة الإنسانية في القوانين الجزئية، ومناط المعرفة الإنسانية بالتاريخ. وموقف الإنسان من القرآن الإيمان به أو عدمه".[١]

فإذا كانت الآية السابقة عن بر الوالدين "ذاتية" من رسالة محمد ﷺ، وليست من كلمات الله؛ لأن كلمات الله حق، ومع هذا بلغها محمد ﷺ، فعن من بلغها، وما هو مصدرها؟

وإذا لم تكن حق: هل هي باطل؟

وبعد أن بلغها هي قابلة للأخذ أو الترك، مع أنها مناط التكليف! وللإنسان حق أن يقضي فيها بنعمه أو لا؟

وما حقيقة آيات الرسالة عند الشحرور مع كل هذا الهرف وبما أصبح محمد ﷺ رسولًا، ورسول ممن؟

ثم بعد ذلك "وبلغها للناس واجتهد في تطبيق أحكامها في زمانه" هل معنى ذلك أن

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٠٤-١٠٥.

رسولنا ﷺ لم يكن أكثر من رجل مجتهد طبق هذا "الغير حق" في زمانه، وانتهى ذلك الاجتهاد مع ذلك الزمان لذا أصبح غير ملزم لنا؟

وهل لنا نحن- يا من خلقنا من ماء مهين- الحكم عليه بنعم أو لا؟!

ثم في القسم الثاني "القرآن" أشعرنا في أول حديثه بأنه هو ما يجب أن يلتزم به الإنسان ولا يكون له الخيار في الإيمان به أو تركه!! لأنه الحق من الله، فنجد أنه لا يختلف عن "أم الكتاب" في شيء؟

غير أنه متجسد في عالم المادة الذي يحيط بنا؛ لأنه مناط المعرفة بالقوانين العامة والجزئية، وبالتاريخ؟

ومع أنه كذلك نجد أن موقف الإنسان اتجاهه كسابقه – القسم الأول "أم الكتاب"- له أن يؤمن به أو نقيض ذلك.

فما الفرق بينهما إذا كانا مناط تكليف أو عدمه، ولنا مطلق الحرية في الأخذ والترك والإيمان أو عدمه؟

وما هي الحكمة من كل هذا التقسيم، إذ لم يكن مناط الاختلاف فيه الإلزام والتقديس من عدمه لأحدهما؟

ولا أجد غير إسقاط القدسية عن كلاهما غايةً عنده، فإذا زالت القدسية عن كتاب الله، نُظِر له على أساس أنه نص كغيره يجوز فيه التغير والتبديل والزيادة والنقصان، لمن شاء، وكيف شاء.

كيف لا وآيات من الوحي كما زعم "هي ليست كلمات الله وليست حق" – وعلى ذلك فهو يفتح الباب على مصرعيه بالسماح لنفسه ابتداءً بتأويله حسب قناعاته الخاصة، ولمن يطيب له ذلك من كل أمه وفي أي زمان.

والمنهج المادي الذي حاول الشحرور إسقاطه على نصوص القرآن الكريم، هو نظرية من نظريات كثيرة في الفلسفة الماركسية يتعارض مع القرآن تعارضًا تامًّا.

ومن هنا ندرك الخطر الذي يمثله طرح الدكتور: شحرور، وجميع الماديين الماركسيين، ولبيان ذلك أفردت الجانب المادي، عن النظرية الماركسية والتي سنتناولها كأحد

الجوانب المادية في أصوله.

أ- اعتماده أسس النظرية الماركسية وتطبيقاتها العملية:

يتبنى الشحرور البنية الفكرية للماركسية، ويكشف انتماءه الاعتقادي بوضوح، يقول:"ومن خلال القوانين الرحمانية، والتي تعتبر قوانين الجدل "قانون التطور وتغير الصيرورة، وقانون الزوجية، التكيف" من أساسياتها ولد هذا الكون، وتشيًّأ "أي أصبح أشياء" متميزة بعضها عن بعض".

ثم يقول:"هذا الوجود المادي الثنائي أطلق عليه مصطلح كلمات الله في جوهره، وآيات الله، في ظواهره"[1]، فالمادة أصل الوجود وجوهره، وأي حديث عن وجود غير مادي هو حديث واهم، لذلك أطلق عليه كلمات الله وجوهره.

نلاحظ هنا عبارة: "أطلق عليه مصطلح كلمات الله" وكأن الموضوع اصطلاحي فقط وليس أساسيًّا، واعتبار أن الموجودات قائمة بنفسها، وإنما جرى إطلاق المصطلح عليها فقط.

ولا ينكر شحرور أن الرحمن هو اسم الله، ورغم ذلك يضع له أوصافًا من عنده، تتناسب مع منهجه المادي، فيقول:"فاسم الله الرحمن، يمثل قوانين الربوبية "السيطرة والاستحكام والتوليد" وبالتالي التطور في هذا الكون المادي الثنائي، هي تعمل بشكل موضوعي"[2]، أي بشكل ذاتي أو آلي، فاسم الله عنده يساوي قانون السيطرة، أو يساوي المولد، ولم يكن عنده دليل إلا أن الرحمن من الرحم، والرحم وظيفته التوليد. يقول في ذلك: "جاءت لفظة الرحمن في اللسان العربي من "رحم" وهو أصل يدل على الرقة والعطف والرأفة. والرحم علاقة القربة، وأضاف القرآن الكريم لها معنى آخر، فالرحم وظيفته التوليد ومن هنا جاء اسم الرحمن على وزن فعلان... يفهم في اللسان

---

(1) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٦.

(2) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٤.

العربي على أنه وزن ثنائية المتناقضين والزوجين والضدين".[١]

وقد حاول ذكر آيات القرآن التي يذكر فيها اسم الجلالة الرحمن، وأخذ يعبث فيها كيف يشاء، ويوزع معانيها كيف يريد.

وحين نتأمل كل ما سبق نجد أنه يسقط أسس الماركسية ومنهجها المادي على القرآن الكريم، ونجده قام بتحريف النصوص وخاض في أسماء الله وعطلها عن معانيها التي تحمل صفات لله عز وجل، ليوفق المنهج المادي مع قانون الجدل الماركسي، ويصبح الرحمن "المولد"، في حالة جدل مع الشيطان"المثالي"[٢] عدو المادية.

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الله عند د. شحرور هو الوجود المادي "المادة التي هي عند الماركسيين "مولد الحياة" خالق كل شيء وعنها يصدر كل شيء"، ولقد صرح بذلك شحرور، فقال: "بما أن الشيطان الفعلاني هو أحد أطراف العملية الجدلية، في الفكر الإنساني، فالطرف الآخر في العملية الجدلية هو الرحمن المادي... فالشيطان الفعلاني يمثل الوهم والجانب الوهمي، في الفكر الإنساني، والرحمن يمثل الجانب المادي الموضوعي، في الفكر الإنساني".[٣]

ثم مما سبق يفسر سبب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]، فيقول:"نرى أن المعنى المقصود هنا الشيطان الفعلاني، لأن مهمة الشيطان الفعلاني تحويل فهم القرآن من قراءة مادية "رحمانية" إلى قراءة مثالية "شيطانية".[٤]

ونلاحظ أنه هنا استخدم لفظ الجلالة "الله" في الآية للدلالة على الرحمن المادي، مما

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٤.

(٢) المثالية: تقوم فلسفة هيغل المثالية على اعتبار أن الوعي سابق للمادة، بينما تقوم النظرية الماركسية على اعتبار أن المادة سابقة للوعي على اعتبار أن المادة هي من تحدد مدارك الوعي وبالتالي يتطور الوعي بتطور المادة المحيطة بالإنسان. انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، مادة: غيورغ هيغل.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٦٢.

(٤) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٦٢.

يظهر حقيقة أفكار د. شحرور نحو الإلوهية وأن الله مادة، بمواصفات خاصة عنده.

يقول د. شحرور:"لقد عبر القرآن عن الوجود الإلهي بأنه وجود موضوعي حقيقي خارج الوعي الإنساني ولكن هذا الوجود ليس مثل وجود الأشياء: قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، حيث إن الأشياء ينطبق عليها القانون الأول والثاني للجدل؛ فتتغير وتتطور طبقًا للقانون الأول ولها علاقات تأثير وتأثر متبادل طبقًا للقانون الثاني، وقد سبحت الأشياء لله تعالى تسبيح وجود، ونزهته عن أن يكون مثلها فيفسد ويهلك. وبما أن قانون الثنائية ينطبق على الأشياء كلها، فقد عبر القرآن عن الوجود الإلهي بالصفات التالية:

١- لا ينطبق عليه قانون ٢، ١ للجدل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١].

٢- بأنه أحادي غير ثنائي في كيفه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١].

٣- بأنه أحادي في كمه ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[الكهف: ١١٠].

٤- عدم التناقض حيث أن الموجود الموضوعي الأحادي لا يحتوي على التناقضات في ذاته وبالتالي غير قابل للفساد والتغير "الهلاك" ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨].

٥- لا تنطبق عليه معادلة الزمان حيث أن الزمان والمكان بمفهومه الحالي هو من صفات المادية الثنائية المتغيرة:﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣].

لذا فإن الإلحاد من وجهة نظر القرآن هو من نتاج الفكر الإنساني وهو موقف مثالي بحت".[١]

وكل ما سبق من ظلم د. شحرور لنفسه، وما افتراه بجرأة واضحة في حق خالقه، ما هو إلا نتيجة لجهله بالدين، وعدم تقديره حق التقدير لمن خلق السموات والأرض، قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ

---

[١] الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٦٣-٢٦٤.

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: ٦٧]، ونتيجة حتمية لما تعرض له من طمس لفطرته السليمة، نتيجة تأثره بالعفن الماركسي، فتطبيق هذه القراءة الجديدة المتحررة من الضوابط، الخارجة على الثوابت والمسلمات، لا تفرز إلا ضلال عن الصراط المستقيم.

إن إطلاق المصطلحات المادية "الكيف والكم" وغيرها، في تحديد الصفات الإلهية يمثل خروجًا عن المصطلحات الإسلامية المقررة في الكتاب والسنة، كما يمثل تحريفًا للكلم عن موضعه؛ فتعظيم الله تعالى إنما يكون بذكر صفاته التي وصف بها نفسه بالقرآن أو وصفه بها رسوله ﷺ في أحاديثه، قال تعالى:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحشر:٢٢-٢٤].

وجاء في الخبر الصحيح:"اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ".[١]

وعند ماركس العلوم الاجتماعية هي الوسيلة الوحيدة لاكتساب المعرفة الحقة.

والنظريات العلمية تكتسب بدورها عبر الممارسة العلمية، أي من خلال التجريب وتطبيق المنهج. وهكذا فإن هذه الممارسة يصعب تطبيقها على علم الإلهيات، المنغمسة في التجريد بدلًا من التصارع مع عناصر الواقع كما يحدث في العلوم التجريبية، وعلى هذا يشكل ما فوق الطبيعة نوعًا من التأمل غير العملي، وهو غير قابل للتحقق منه

---

(١) صحيح مسلم. كتاب: الذكر و الدعاء. باب: ما يقول عند النوم وأخذ مضجعه:٢٧١٣/٢٠٨٤/٤.

بالعلوم التجريبية. وهذا العامل هو سبب نزعة ماركس الإلحادية، يقول ماركس: "العالم الديني في حقيقة الأمر انعكاس للعالم الواقعي".(١)

وهذا هو ما ذهب إليه شحرور في ما وصف به الله وآياته، حيث جعل عالم المادة الخارجي، هو معيار التأويل الذي ارتضاه، يقول شحرور: "إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدون بأي شيء قاله السلف، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي والتفكير الموضوعي وبالأرضية العلمية في عصرنا؛ لأن القرآن حقيقة موضوعية خارج الوعي فهمناها أم لم نفهمها"(٢)، بل جعل الفلاسفة والماديين هم خير سلف له في فهمه للقرآن الكريم.

يقول د. شحرور:"إن ورثة الأنبياء ليسوا علماء الشريعة والفقه وحدهم إن هذا غير صحيح. إن الفلاسفة وعلماء الطبيعة وفلسفة التاريخ وأصل الأنواع والكونيات والإلكترونيات هم ورثة الأنبياء".(٣)

يقول شحرور: "فالراسخون في العلم هم الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة، وهؤلاء من أمثال البيروني، الحسن بن الهيثم، ابن رشد، إسحق نيوتن، أينشتاين، تشارلز دارون، كانت، هيجل".(٤)

وبذلك يتضح عندنا الأثر الكبير الذي يمثله "المذهب الماركسي" في فكر الشحرور، وأنه بمثابة حجر الزاوية في فكر الرجل، والذي شكل من خلاله موقفه من الله والوجود، وقام من خلاله بتسخير آيات القرآن وإلباسها الحلة الماركسية تأيدا لمذهبه الباطل، واستخدام هذا المنهج يحتم قبول نتائجه، فالماركسية تقول: إن التاريخ هو كفاية الجنس البشري الذاتية بوصفه قوة إنتاجية، توجب فهم الحاضر على أنه انتقال من عبودية الماضي إلى تحرير المستقبل.

---

(١) رأس المال، كارل ماركس، طبعة موسكو، ١٩٥٤م، المجلد الأول، ص٧٩.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٩١.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٠٤.

(٤) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٩٣.

يقول شحرور:"هنا أريد أن أؤكد على نقطة في غاية الأهمية وهي أن القرآن كتاب الوجود المادي والتاريخي، لذا فأنه لا يحتوي على الأخلاق ولا التقوى ولا اللياقة ولا اللباقة، ولا تنطبق عليه عبارة "هكذا أجمع الفقهاء" و"هكذا قال الجمهور". إننا في "القرآن" و"السبع المثاني" غير مقيدين بأي شيء قاله السلف".[١]

لذلك سنتحدث عن التاريخانية عند الشحرور كأحد أسسه في تأويل القرآن الكريم، وهي أحد جوانب المادية عنده.

ب- المنهج التاريخاني:

المنهج التاريخاني الذي يعتبر أن تفسير النص يجب أن يكون مرهونًا بتاريخه، ويجب أن يكون ساكنًا هناك لحظة ميلاده، فلا يمكن فصل أي نص عن تاريخه.

هذا المنهج يصدر عن نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان هي من صنع الله تعالى، ويعتبرها إنشاء إنسانيًا، وذلك لأن الإنسان يتحكم به التاريخ بشكل كامل، والله مطلق متره عن ذلك.

حاول البعض بناءً على مقولة "المنهج التاريخاني" إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه الآن، وبالرغم من أن محمد أركون المفكر الجزائري كان سباقًا منذ الثمانينيات إلى هذا المنهج، فقد اشتهر به نصر حامد أبو زيد بسبب قضية طلاق زوجته في المحاكم المصرية بتهمة الارتداد عن الدين، بسبب اعتناقه لهذه الفكرة في منتصف التسعينيات. وبينما كان محمد أركون يصدر عن عقيدة علمانية ليبرالية، كان نصر حامد أبو زيد يصدر عن عقيدة ماركسية. وفي كلا الحالتين كان يراد من المنهج التاريخي تأمين انسلاخ جماعي للمسلمين من كتابهم الكريم، من أجل تسليمهم للوضعيَّة، والدخول في الحداثة الغربية المادية بحسن نيَّة وبسوئها.

لم يُنجز في هذا الإطار كثير، لكننا نشير إلى آخر دراسة عام ١٩٩٨م بالفرنسية لتلميذة محمد أركون جاكلين الشابي في أطروحتها للدكتوراه في جامعة السوربون

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٩٠-٩١.

وكتابها ما يزال بالفرنسية.[١]

وبما أن التاريخية: هي القول بأن الأمور الحاضرة ناشئة عن التطور التاريخي، وأن الحقيقة تتطور بتطور التاريخ[٢]،

نجد أن شحرور صرح بها في قوله: "إن القصص القرآني هو تطور تاريخي في أكثر من ظاهرة علمية من حيث تاريخ المعارف الإنسانية، عن طريق النبوات وتاريخ التشريع الإنساني عن طريق الرسالات، وقد ظل هذا التطور ساريًا حتى جاء الرسل الثلاثة "أهل الكتاب" فجاءهم مجموعة كاملة "كود كامل" من المعلومات والتشريعات وكان آخرها هو كتاب الإسلام، لأنه نسخ جزءًا من التشريعات وثبت جزءًا آخر فكل ما جاء في التشريعات في قصص القرآن فهو ملزم لنا وجزء من ديننا لأنه يدخل ضمن حدود التشريع الإسلامي... فإذا طرحنا البعد التاريخي من أذهاننا من حيث المعرفة والتشريع الإنساني فإن قصص القرآن غير قابل للفهم. وفي هذا البعد التاريخي يكمن التشابه في القصص أي نسبية الفهم".[٣]

يقول د. شحرور: "لقد جاء القصص القرآني، ليس من أجل الأخبار، كأي كتاب تاريخ، لكنه جاء ليشرح سنن التاريخ وحركته".[٤]

كما يحاول أصحاب هذا الرأي تقديم تفسير جديد لمفهوم الوحي وطريقة التلقي من الله، كما يعتمد هؤلاء على مفهوم التغيير وعلى قوانين تطوير الطبيعة والمجتمعات والإنسان.[٥]

يقول شحرور، وهو بصدد طرق تلقي الوحي من الله، الخاصة بالنبي محمد ﷺ:"أما

---

(١) راجع: مقال المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، أ. عبد الرحمن الحاج إبراهيم، شبكة الفكر المعاصر، على رابط: http://www.fikrweb.net/news115.html.

(٢) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ١٥٥-١٥٦.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٣٨.

(٤) الدولة والمجتمع، شحرور، ص٣٠.

(٥) انظر: النزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، ص٥١-٥٤.

الطريقة الثانية، وهي طريقة الاتصال دفعة واحدة لا رجعة بعدها فهي الطريقة الإسلامية وهذه لا يمكن أن تكون إلا بثبات النص وحركة المحتوى وهو التشابه الذي يحتاج إلى التأويل باستمرار، ولهذا فالقرآن لا بد من أن يكون قابلًا للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركًا وفق الأرضية العلمية لأمةٍ ما في عصرٍ ما، على الرغم من ثبات صيغته".(١)

فالشحرور هنا يرى بثبوت النص وحركة المحتوى، لذلك جعله بحاجة دائمة إلى التأويل المستمر الخاضع للصيرورة. ثم نجده جعل هذه الحاجة، حق لأي أمة، في أي عصر.

يقول حبنكة الميداني، رحمه الله:"إن أعداء الإسلام قد عجزوا طوال أربعة عشر قرنًا عن أن يدخلوا التحريف اللفظي في كلمة واحدة من كلمات الله المنزلات على رسوله محمد ﷺ، فلجئوا إلى حيلة ثبات النص وحركة المحتوى".(٢)

ت- تبنيه مذهبًا طبائعيًّا حديثًا في العلم الحديث:

ويضم هذا الموقف فكرة أن التأويل الصحيح "للقرآن" يحتم عليه التخلي عن كل الآراء الموروثة والبدء من نقطة الصفر، ثم استخدم منهجًا فلسفيًّا "تاريخي"، ترك أثره في تعريفات الشحرور المستنبطة للإنسان بوصفه حالة صيرورة لا بوصفه كائنًا. ويظهر أثر هذين المحورين، في اعتماد د. شحرور على مفاهيم فلسفية خاصة بالثقافة الغربية.(٣)

حيث استنبط الشحرور من ""الطبائعية" – أي أغلوطة المذهب الطبيعي – المؤدية إلى رؤية متميزة في الطبيعة الفيزيائية، وظهور العلم الوضعي الحديث باعتباره معيارًا لليقين، قد نجم عن التخلي المتعمد عن الفلسفة المدرسية المتأخرة في القرن السابع عشر، وهي فلسفة أوربية لاتينية في العصر الوسيط عرفت باسم

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٦٠.

(٢) التحريف المعاصر في الدين، حبنكة الميداني، ص٢٣.

(٣) انظر: تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرور، كريم اللحام، ص١٠-١١.

"scholasticsm"، أي التي كانت تُعْلم في الدارس، وموضوعها لاهوتي، غير مرتبط بزمان أو مكان، أو بأي من المذاهب الفلسفة أو بالأديان. فهي تعبير عن موقف فلسفي لاهوتي أساسًا، سواء عند مسيحي الغرب أو عند العرب المسلمين أو اليهود، هدفها التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين العقل والوحي، مع غلبة الطابع الإيماني عليها. فقد اتخذت من السلطة الدينية معيارًا للحقيقة، ومنحت حقائق الدين أولوية مطلقة، فجعلت الفلسفة خادمة للدين.(١)

فعبر هذه الحركة الفكرية تشرب أدعياء الإصلاح، من أمثال شحرور، استبعاد المبادئ الأولى – فهم السلف للوحي – لصالح مبادئ علم فيزيائي رياضي. وهذه المفاهيم والمبادئ غير قابلة للتطبيق على نصوص القرآن، ويستحيل عزلها عن التطور الديني والثقافي المحدود الذي نشأت عنه، والمختلف تمامًا عما حدث في تاريخ الإسلام.

يقول شحرور: "إننا في القرآن والسبع المثاني غير مقيدين بأي شيء قاله السلف، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي والتفكير الموضوعي وبالأرضية العلمية في عصرنا، لأن القرآن حقيقة موضوعية خارج الوعي فهمنا أو لم نفهمها، قبلنا بها أو لم نقبل... فالقرآن حقيقة موضوعية مادية وتاريخية لا تخضع لإجماع الأكثرية حتى ولو كانوا كلهم تقاة، ويخضع لقواعد البحث العلمي حتى ولو كان الناس كلهم غير تقاة. وعلينا أن نكسر هذا الحاجز الوهمي المبني على عبارة "هذا ما قاله الجمهور" أو "هذا ما أجمع عليه الجمهور – جمهور الفقهاء". لذا قال عن الكتاب ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، وعن القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٥]".(٢)

وتكشف محاولة إقحام العلم الوضعي الحديث باعتباره معيارًا لليقين في التراث الإسلامي، عن سوء فهم ذي شقين؛ سوء فهم للإسلام وموروثاته، وسوء فهم للغرب

---

(١) انظر: الموسوعة العربية، الفلسفة في العصر الوسيط، http://www.arab-ency.com/index.php?module.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٩١.

ما بعد المسيحي؛ وموروثاته التي تعد مبنية على الكثير من التوليفات والمقارنات والتهجينات، من فلسفات فاشلة تخدم بشكل متزايد مصالح أقلية نخبوية توظف القطاع الأكبر من البشرية لصالحها. ولقد كاد يصبح بدهيًّا في العقدين الأخيرين أن النظريات الفكرية "الأيديولوجيات" تقرر نمطًا معينًا من السيطرة المفهومية على مجال المستقبل وتستبعد كل المفاهيم المتعالية التي لا تعين على الضبط الاجتماعي، وتصاغ هذه السيطرة وفق دعاوى حول المستقبل تتأسس على نظريات فكرية، يعتقد أنها تشكل قمة المنجز الفكري عند البشر، وأن أي تدخل يستهدف تعديل هذا الحكم أو إنكاره يُعد من قبيل أصحابه معاديًا لما هو إنساني، مضادًا للتقدم ومناوئًا للازدهار.(١)

يقول شحرور: "إننا نتبنى النظرية العلمية. ونرى أن ظهور الكون المادي كان نتيجة انفجار كوني هائل، أدى إلى تغيير طبيعة المادة، ونرى أن انفجارًا هائلًا آخر، مماثلًا للانفجار الأول في حجمه، سيؤدي حتمًا إلى هلاك هذا الكون وتغيير طبيعة المادة فيه، ليحل محله كون "عالم" مادي آخر، ويعني ذلك لأن الكون لم ينشأ من عدم "مع التأكد أنه لا قديم إلا الله".(٢)

بل من مادة ذات طبيعة أخرى، وأن هذا الكون سيزول، ليحل محله كون آخر، من مادة ذات طبيعة مغايرة. وهذا ما ندعوه بالحياة الآخرة".(٣)

ومن الملاحظ أن شحرور في كتبه كلها، لا يذكر من يقوم بهذا الانفجار، وكأنه يشير إلى عملية ذاتية، ويغفل أن رب العالمين هو الذي خلق الكون، وإن إغفال هذه الحقيقة، يؤكد عقيدة شحرور المادية، وأن المادة هي المحرك للعالم، ولا يفيد ما يذره في العيون من الرماد، في قوله: "مع التأكيد أنه لا قديم إلا الله"، لأن الذي يؤمن بالله يرجع إلى كتابه، ويستمد منه نشأة هذا الكون.(٤)

---

(١) انظر: المال والأخلاق، إريك غيل، ص٣٥.

(٢) ليس القديم من أسماء الله تعالى.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٩٣.

(٤) انظر: النزعة المادية، التل، ص٣١١.

ونجد هنا تأثر د. شحرور "بأستاذ علم الكونيات "cosmology" أي العلم الذي يبحث في الكون وتكوينه ونشأته "ستيفن هوكنج" وهو أستاذ الرياضيات في "جامعة كامبريدج" ويحمل لقب أستاذ الكرسي "اللوكاسي" منذ ١٩٧٩م، والمعروف أن هذا اللقب يعود إلى "هنري لوكاسي"، الذي أسس هذه الدرجة في عام ١٦٦٣م، وكان "نيوتن" قد شغل هذا المنصب قبل ثلاثة قرون أيضًا.

يقول ستيفن:"إن الكون "نشأ بصورة عفوية، وأن الانفجار الكبير كان نتيجة طبيعية لقوانين الفيزياء"، وكان "هوكنج" قد قال في ما مضى: إن الإيمان بوجود خالق لا يتناقض مع العلم".[١]

وكلام العالم البريطاني هو عين كلام الدكتور الشحرور، فقد أخذ عنه الشحرور فكرة "الانفجار العظيم للكون"، والسؤال هنا: إلى ماذا توصل هذه النظرية التي يؤمن بها الشحرور؟

يكمن الجواب في قول هوكنج:"عليه يمكن القول إن الكون لم يكن بحاجة إلى إله يشعل فتيلًا ما لخلقه"، وإن ما يعرف باسم "الانفجار الكبير" لم يكن سوى عواقب حتمية لقوانين الفيزياء.

ويضيف:"أن الأرجح هو وجود أكوان أخرى تسمى «الكون المتعدد» خارج مجموعتنا الشمسية، فإذا كانت نية الإله هي خلق الجنس البشري، فهذا يعني أن ذلك الكون المتعدد بلا غرض يؤديه وبالتالي فلا لزوم له".[٢]

إذًا النتيجة الموصلة لهذه النظرية، هي الإلحاد. فما هو موقف د. شحرور من ذلك، ولقد أصبح عنده الحق هو العالم المدرك وحده؛ لأنه لا شيء وراء العالم الزمني يمكن معرفته- كما يكرر شحرور دائمًا-"وهذا يقود إلى تأليه المظاهر بالضرورة"؟.[٣]

---

(١) انظر: ستيفن هوكنينج، الموسوعة الحرة "ويكيبيديا"، http://ar.wikipedia.org.

(٢) انظر: ستيفن هوكنينج، الموسوعة الحرة "ويكيبيديا"، http://ar.wikipedia.org.

(٣) "الدين في طور النشوء" وايتهيد، ص٧١-٩٠، نقلًا عن تأملات في بنية الإطار المفهومي، اللحام ص١٠٥.

ونرى أن ثمة خطوة قصيرة تفصل بين ما يقترحه شحرور وما يطرحه هذا الخطاب الإلحادي، إذ يجزم د. شحرور بأن وجود الله يطرح متناقضة لا سبيل لحلها. يقول د. شحرور: "على الرغم من علمي أن احتمال وجود الله يشكل "٥٠:٥٠"– كما يقول ستيفن هوكنغ[١]– ، يظل بمقدوري على أقل تقدير أن أخبر الناس عن سبب إيماني بالله، ثم أترك للآخرين أن يقرروا إلى أي حد حجتي مقنعة. ليس بودي هزيمة النزعة الإلحادية ولا أرغب في أن يقوم أي ملحد بدحض إيماني كل ما لدي الآن هو حجة قوية على وجود الله سوف يحكم الناس على مدى قوهما". [٢]

ومن المثير أن شحرور لا يعرض علينا إطلاقًا حجته على وجود الله. على العكس تمامًا فحين يأخذ المرء بأطروحته حتى نهايتها، سينتهي إلى الإلحاد.

فهو يقول بفكرة أن لا حدود للعقل، وهو يبسط الأسس المادية الأخرى التي يؤمن بها، فيقول: "الكون مادي، والعقل الإنساني قادر على إدراكه ومعرفته، ولا توجد حدود يتوقف العقل عندها...، ولا يعترف العلم بوجود عالم غير مادي، يعجز العقل عن إدراكه". [٣]

إذًا هو يؤمن بأنه لا حدود لعقل الإنسان، و"عدم وجود عالم غير مادي، يعجز العقل عن إدراكه"، ولا يسعنا – لأمر شحرور هذا في تأليه العقل – إلا أن نرثى لحاله، على هذه الدعوى التي لا يستطيع إثباهما، وهي تتعارض مع أبسط القواعد العقلية، ولم يكلف شحرور نفسه التحقق من صحة كلامه، وإنما يلقي أفكاره بطريقة عبثية، لا

---

(١) حين استشهد بكلامه د. شحرور، شعرت بفضول لمعرفة مدى تأثره به، وحين بحثت عنه، وجدته ممن قال الشحرور بأهم من ورثة النبوة، وممن يحق لهم وحدهم تفسير القرآن الكريم، وأخذ عنه الشحرور مقولة الانفجار الكوني، وحرف العديد من آيات الكتاب حتى توافق نظريته "نظرية أم" في الانفجار الكوني، وتأليه علم الفيزياء.

(٢) القرآن والأخلاق والعقل النقدي: أعمال محمد شحرور الأساسية، أندرياس كرستمان، محرر ومترجم، ص٥٢٧. نقلًا عن كتاب: تأملات في بنية الإطار المفهومي عند الشحرور، كريم اللحام، ص٧٣.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٤٣.

تخضع لمنهج علمي واضح، وقد تصدى العلماء لهذه الفكرة – حدود العقل – عندما ظهر تأليه العقل في أوربا، من جديد".(١)

ويمكن أن نرد على د. شحرور من خلال وجود بعض المخلوقات، التي لا يملك العقل البشري المحدود أن يدركها ويحيط بها، مثل الكرسي والعرش.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥].

فهذه الأمور من الغيب، التي لا نملك معرفتها إلا من خلال الوحي، ولا مجال للعقل فيه، لأنه لا يدركها ولا يعلم بوجودها إلا من خلال الوحي.

وحين نعود لكتاب الشحرور نجد أنه قام بتأويل العرش، إذ جعل العرش "الأمر"، ونجد أنه في هذا الموضع خالف ابن فارس الذي قال بأنه يلتزم بمنهجه اللغوي، إذ يقول ابن فارس:"العين والراء والشين أصل صحيح واحد يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك".(٢)

وقال الشحرور: "لنأخذ أولًا معنى العرش: فالعرش في اللسان العربي جاء من "عرش" ولها أصلان صحيحان:

الأول: عرش الرجل هو قِوَامُ أمره.

الثاني: العرش هو ما يجلس عليه من يأمر وينهى.

لاحظ أن المعنى الثاني مرتبط بالأول. فالأساس في العرش هو الأمر: فنقول إن الملك حسينًا تولى عرش الأردن،فهذا يعني أنه أصبح الآمر الناهي في الأردن... وفي كل مكان ورد ذكر العرش – يقصد بذلك في القرآن – جاء بمعنى الأمر والنهي أي بالمعنى

---

(١) النزعة المادية، التل، ص٣٠٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ، مادة عرش، ٤/١٦٤.

الأول ما عدا الآيات التالية في سورة يوسف والنمل".[١]
ونجد أن د. شحرور لم يذكر مصدر كلامه، حين قال في اللسان العربي، ولم أجده عند ابن الفارس الذي اعتمد معجمه، بل وجدنا ابن فارس يقول أصل واحد، ولم يقل أصلان، ولكن د. شحرور تجرأ على علماء العربية ووضع أصلًا آخر من عنده، ليتمكن من تحريف الحقائق، وليس المهم عند د. شحرور، في هذه القضية، سوى الطعن بالقاعدة المعروفة عند المسلمين، حول قول الله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] ، وقد جاء القول فيها عن الصحابة والتابعين، ومن هؤلاء أخذ الإمام مالك بن أنس قولته المشهورة: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول".
ولكن د. شحرور يتجاهل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، دون دليل صحيح، كما أخفى مفهوم الارتفاع في معنى العرش عند ابن فارس.
ولكن ما يصنع د. شحرور مع قول الله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾[يونس: ٣]، حيث لن يملك د. شحرور تحريف جميع الآيات الخاصة بالعرش، لتتوافق مع رأيه وهواه، قال تعالى:﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الزمر: ٧٥]، وقال رسول الله ﷺ عن الشهداء:"أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش".[٢] وهكذا يبطل قول شحرور، ويظهر أن العرش مخلوق، وليس معناه الأمر والنهي. وأن هناك حدودًا للعقل يجب أن لا يجتازها حتى لا يضل، ويهلك صاحبه.
وحين نتابع في كتابه نعود للنقطة التي انطلقنا منها، وهي تبنيه للنظريات العلمية، وتأثره بالفلاسفة والماركسيين وعلماء نشأة الكون، وأهمهم بعد الماركسيين، والفلاسفة، المعاصر"ستيفن هوكنج" الفيزيائي القائل بالانفجار الكوني، يقول د. شحرور: "بعد الانفجار الكوني الأول، وتشكل العناصر المادية المختلفة كان الكون

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٦٤.
(٢) صحيح مسلم. كتاب: الإمارة. باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة:١٨٨٧/١٥٠٢/٣.

كله مؤلفًا من عنصر واحد هو الهيدروجين[١] "مولد الماء"... وفي هذه المرحلة، كان أمر الله على مولد الماء، فقال:﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [٢].[٣] هو هنا يحرف معنى الحديث النبوي، وقد احتاج شحرور للوصول إلى هذا الرأي أن يحرف مصطلحات كثيرة، ويغير معانيها، ويخرج عن الأمانة العلمية، عند النقل عن معاجم اللغة، كما أنه لا يلتزم بمنهج لغوي واحد، فيتعامل مع اللسان العربي بالأسلوب الصبياني، وغايته تهديم القواعد التي يقوم عليها صرح المنهج الإسلامي.[٤]

ويظل شحرور يتبنى نظرية التقدم الحتمي، ونظرية التطور التحويلي، وانتصار الدقة الرياضية تعبيرًا عن اليقين الديني، وتتخلل هذه النظريات نص شحرور بأكمله، وهو لا يرتاب فيها لأنه يعتبرها أمورًا إيمانية محكمة ومحصنة ضد كل شك".[٥]

ولقد طبق د. شحرور نظرية "كانت" حول التنوير، عرف "كانت" التنوير: بأنه خروج الإنسان من الوصاية. بمعنى آخر استعمال الإنسان لعقله بدون تدخل أي عامل خارجي. فهذه الوصاية التي يخضع لها الإنسان ليست طبيعية، فالإنسان حباه الله بعقل يسمح له باكتشاف الحقائق، لأن العقل إذا لم يتعلم يبقى في مرحلة الطفولة. والتنوير يعني الارتقاء بعقول الناس إلى النضج، عن طريق التعليم للوصول إلى الاستقلالية في

---

(١) الماء مركب كيميائي، وليس عنصر، لأنه يتكون من عنصرين (h_2o) هما الهيدروجين والأكسجين. بينما الشحرور يجعل الماء عنصرًا مكونًا من الهيدروجين فقط، وهذا قصور في العلم لديه. انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، مادة مركب.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وَقَعَ فِي رِوَايَة إِسْحَاق بْن رَاهَوَيْهِ: (وَالْعَرْش عَلَى الْمَاء) وَظَاهِره: أَنَّهُ كَذَلِكَ حِين التَّحْدِيث بِذَلِكَ؛ وَظَاهِر الْحَدِيث الَّذِي قَبْله أَنَّ الْعَرْش كَانَ عَلَى الْمَاء قَبْل خَلْق السَّمَاوَات وَالْأَرْض، وَيُجْمَع بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْمَاء"، انظر: "فتح الباري" (٢٠/٤٩٦).

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٦٤.

(٤) انظر: النزعة المادية، التل، ص٣٠٩.

(٥) تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرور، كريم اللحام، ص١٢، ص١٥.

إصدار الأحكام.[١]

يقول د. شحرور: "لقد حقق الجنس البشري ككل تقدمًا عظيمًا، فلم نعد نحتاج إلى نبي آخر أو وحي آخر، وأصبح بمقدورنا أن نعول فحسب على العقل وعلى خبرتنا الناضجة بهذا العالم. لقد ورثت مؤسسات العلم في العصر الحديث نبوءات وأنبياء، فيما ورثت الهيئات القضائية والبرلمانات رسلًا أقدمين ورسالات. غير أنه مع "خاتم الأنبياء" توقف التدخل الأخلاقي الخارجي، وانتهى بذلك دور الخبراء الدينيين".[٢]

ثم أن المنهج العلمي بطبيعته ليس مهيأً لفحص أي شيء يتجاوز نطاقه المادي، ولذلك فلا قيمة معرفية لأي حقل بتجاوز النطاق المادي. وهكذا يصبح الدين، الذي يتخطى المجال المادي خاليًا من كل قيمة وفق هذه الخطة، ودائمًا يعد مثل هذا الحط من قدر الدين مسلكًا قصير الأجل على درب الإلحاد، وهذا ما أوضحته التجارب الشيوعية في بداية القرن العشرين.[٣]

يقول شحرور: "قلت لنفسي، إذا كان القرآن من عند الله، سيكون بالمقدور تحليله باستخدام أحدث المناهج المتوفرة. وإذا لم يتسن تحليله بمناهج حديثة، فإنه ليس من عند الله".[٤]

ومن هنا فقد ذكر شحرور بأن المنطق الرياضي مهم في تأويل الآيات وكون هذا المنطق لم يكن معروفًا في العصر الأول من عمر الرسالة لا يعني عدم صحته في فهم الآيات القرآنية وتأويلها، يقول: "ومنتهى ما كان موجودًا في عصر النبي ﷺ من الرياضيات

---

(١) راجع مقال: فلسفة هابرماس: جوابًا على سؤال ما هو التنوير؟، ترجمة نور الدين علوش، على موقع حكمه من أجل اجتهاد ثقافي وفلسفي، على رابط: http://www.hekmah.org.

(٢) القرآن والأخلاق والعقل النقدي: أعمال محمد شحرور الأساسية، أندرياس كرستمان، محرر ومترجم، ص٧٥. نقلًا عن كتاب: تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرور، كريم اللحام، ص١٦.

(٣) انظر: تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرو، اللحام، ص٦١.

(٤) القرآن والأخلاق والعقل النقدي، كرستمان، ص٥٣١. نقلًا عن كتاب: تأملات في بنية الإطار المفهومي، اللحام، ص٦١.

هو الجمع والطرح والضرب والقسمة، ولم يكن هناك تحليل رياضي أو هندسة تحليلية ولا رياضيات حديثة أو نظرية الاحتمالات، ومن حقي بعد أن عرفت هذه النظريات الحديثة أن أعمد إلى آيات القرآن وأطبق عليها هذه النظريات".[١]

إذًا الوحي عند شحرور مجرد داعم للأساس المادي للمعرفة، ولا ينظر إليه غالبًا إلا باعتباره نصًّا متممًا لما وصل إليه الإنسان عبر التقدم العلمي. ومن ثم فيمكن القول إن الاتصال بالله قد انتهى لأننا "تخرجنا".

يقول شحرور: "إني أعتبر نوحًا في المرحلة الابتدائية من المجتمع الإنساني، وأن محمدًا جاء إلى البشرية في المرحلة الجامعية. أما الآن فإن البشرية تتحمل مسؤوليتها وحدها. إننا نكتشف الكون بأنفسنا ونحن نستطيع أن نقوم بذلك، بعد أن أكملنا دراستنا وتخرجنا".[٢]

ثالثا: نزعة الأنسنة:

تعد الأنسنة "مدخلًا إلى التنوير الأوربي، وأحد أعمدة الحداثة الغربية، خاصة وأن الأنسنة تتمفصل مع العقلانية والعلمانية والتاريخية، فهذه العناصر تشكل جوهر الأنسنة، لأن الاهتمام بالإنسان معناه إعطاء الأولية لعقله في الإدراك والتمييز وبناء الأحكام المعيارية. ومعناه أيضًا رفض كل أسبقية دينية أو ميتافيزيقية يمكنها أن تحد من إبداعه وفعاليته في التاريخ".[٣]

يقول علي حرب: "أي أن الإنسانية بهذا المعنى تمثل قطعية حاسمة مع كل نظرة: لاهوتية قروسطية صادرت كيان الإنسان باسم الإيمان! وتمثل في الوقت نفسه تأسيسًا لفلسفة

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٣٧.

(٢) القرآن والأخلاق والعقل النقدي، كرستمان، ص٥١٨-٥١٩. نقلًا عن كتاب: تأملات في بنية الإطار المفهومي عند الشحرور، كريم اللحام، ص٦٣.

(٣) الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كحيل مصطفى، ص٥٩.

جديدة تحل الإنسان محمل المركز من الوجود بعد أن كان من الوجود على هامشه" [١]، "وهي ثمرة رؤية دنيوية ومحصلة فلسفية علمانية ودهرية، بهذا المعنى فإن الأنسنة هي الوجه الآخر للعلمنة". [٢]

وذكرنا سابقًا [٣] تسرب هذه النزعة إلى د. شحرور من الفكر الماركسي، وقلنا أنها تشكل جزءًا من أساس مبدأ منتظم في الإلحاد، يتحدد جزئيًّا باستخدامه نزعة لودفيغ فويرباخ: الأنوية الإنسية "الأنسنة" المتطرفة، وهي ديانة اختلقها البشر تعلن تفوق الإنسان، وتقول صراحة: إنه لا يوجد إله للإنسان إلا الإنسان. [٤]

يقول د. شحرور: "فمن هو خليفة الله في الأرض غير الإنسان؟ فخلافة الإنسان لله في الأرض هي أن أعطاه سلطة من سلطاته، وسلطان الله على المخلوقات هو من مقام الربوبية، فأعطى الله للإنسان من هذا المقام فأصبح الإنسان يملك الأرض والسماء ويتصرف بها وتعلم قوانين الربوبية في الأشياء لكي يصبح هو ربًّا لها". [٥]

وعلى ذلك يكون الإنسان هو رب السموات والأرض، "والوجود الموضوعي خارج الوعي هو الوجود الإلهي ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[الحج: ٦٢]، والوجود الكوني الذي هو كلمات الله وهو حق أيضًا:﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[الأحقاف: ٣]. فالله حق والوجود كلماته وهو حق أيضًا، لذا قال:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]... ونحن نعلم أن سمة "المتكلم" ليست من أسماء الله الحسنى، وإنما

---

(١) العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين، عبد الإله بلقزيز، نقلًا من: الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كحيل مصطفى، ص٥٩.

(٢) حديث النهايات، فتوحات العولمة ومأزق الهوية، على حرب، نقلًا من: الأنسة والتأويل في فكر محمد أركون، كحيل مصطفى، ص٥٩.

(٣) راجع البحث ص٢١.

(٤) انظر: تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرور، اللحام، ص٦٨، و"قراءة في نظريات الإلحاد، من فويرباخ حتى ماركس"، عباس الجمري، صحيفة الوسط البحرينية (العدد ٢٧٦) الإثنين ٩ يونيو ٢٠٠٣م الموافق ٨ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ.

(٥) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٢٣.

كلماته اشتقت من اسمه الحق. ومن أجل تعليم الإنسان صاغ الله الحقيقة المطلقة وهي الوجود ونواميسه العامة وأسماءه الحسنى صياغة لسانية إنسانية".[١]

هل اكتفى شحرور بقوله بنيابة الإنسان لله في الربوبية؟ وهل اكتفى بقوله أن الوجود الإلهي هو الوجود المادي الأحادي؟ وهل اكتفى بقوله إنكار كل الصفات الإلهية عدا أنه أحادي في الكم، غير ثنائي في الكيف، وأن وجوده المادي لا تناقض فيه؟

الجواب: لا، بل أسهب وتعس – بعد أن أنكر خلق الله لآدم، وأيد نظرية دارون – على ما قال: "عندما نضج البشر كائنًا رحمانيًّا وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجعله خليفة له في الأرض ليخلفه في قوانين الربوبية أولًا، أي في القدرة على التصرف في هذا الوجود المادي، والإلوهية ثانيًا، أي في القدرة على التشريع أعطاه من صفاته الذاتية الأحادية الخالية من التناقض وهي الروح ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[الحجر: ٢٩]، لذا فإن الإنسان فقط مدين لله سبحانه وتعالى في أنسنته وابتعاده عن المملكة الحيوانية ومن هنا جاءت لفظة الدين وهي من دان يدين ومنه جاء الدين والمدينة والمدنية".[٢]

ويقول: "أي أن الإنسانية الآن لا تحتاج إلى أية رسالة أو نبوة، بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها بدون نبوات، وقادرة على التشريع بنفسها بدون رسالات. والإنسانية اليوم أفضل بكثير من عصر الرسالات، لأن البشرية كانت بحاجة إليها للرقي من المملكة الحيوانية إلى الإنسانية، أما نحن فلا".[٣]

ماذا أبقى الشحرور لله رب العالمين، بعد أن منح الإنسان والربوبية وقام بتعطيل صفته تعالى، إذًا هو نسف أصل التوحيد بنوعيه الذي دعت له الرسل.

ويكرر شحرور القول بأن الإنسان فيه جزء إلهي، وهو الذي جعله يستحق الخلافة عن الله.

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٧٢.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٩.

(٣) تجفيف منابع الإرهاب، شحرور، ص٢٦.

يقول: "أما بالنسبة للسلوك الإنساني الواعي، فحتى نفهم هذا السلوك الواعي، يجب علينا أن لا ننسى، أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وأنه يوجد في هذا الإنسان، وليس في الكائنات الحية الأخرى، شيء من ذات الله، وهو الروح، وبها أصبح خليفة الله في الأرض، واكتسب المعارف، وأصبح قادرًا على المعرفة والتشريع".(١)

وقد نشأ هذا الوهم من خلال الادعاءات الفارغة للمغرورين بالقوة المادية، وإنجازات العلم. أما ما زعمه د. شحرور؛ من أن الله جعل الإنسان خليفة له في الإلوهية؛ أي في القدرة على التشريع، فهذه أشد من الأولى وأدهى، فماذا أبقى شحرور لله في هذه الأرض؟

وقد سلب عنه تعالى خلق الإنسان والكون، وسلب عنه الإحياء والإماتة، وسلب عنه العلم القديم لأقدار الكون والإنسان المحفوظ في اللوح المحفوظ، وسلب عنه القدرة على النفع والضر، وسلب عنه الاستواء والكلام، ثم تمم كل ذلك بالقول بالنيابة الإنسانية لله في الربوبية والإلوهية.

وكل ذلك نتيجة لنضج البشرية ونضج معارفها، "فأصبحت تستطيع الاعتماد على نفسها بالعقل والتجربة دونما حاجة بعد النبي الخاتم إلى أي وحي. حيث أصبحت الجامعات ومعاهد البحث العلمي ورثة النبوات "الشهداء" ومجالس التشريع والبرلمانات ورثة الرسالة أي انتهى بختم النبوة عهد الوصاية الخارجية على الإنسانية وعهد وصاية رجال الدين أو الأئمة".(٢)

ومن خلال الحديث عن نزعة الأنسنة، قد بينا الأصول التي أخذ منها شحرور فكره، وبينا أن تأويله للقرآن لم يكن قراءة معاصرة، بل هي قراءات سابقة لملحدين وفلاسفة، وماركسيين، طبقوها على نصوص كُتُبِهِم بعد أن ثبت لهم تحريفها، وثبت لهم فساد رجال الدين، فما هو عذر الدكتور شحرور أمام الله وقد طبق هذه المذاهب

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٣٩٠.

(٢) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، شحرور، ص٥٣.

والنظريات على كتابه عز وجل، المحفوظ رغمًا عنه، والذي تعهد سبحانه بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩]. ولعلي وفقت في بيان أهم الأسس التي بنى عليها د. شحرور، تأويله للوحي.

البحث الثاني
موقف الدكتور محمد شحرور من ثبوت الوحي

لمعرفة موقف د. شحرور من الوحي، لا بد من أن الإجابة عن ثلاث أسئلة، الأول: ما هو موقف الدكتور شحرور من الله "مصدر الوحي" ؟

الثاني: ما قوله في عصمة النبي ﷺ، بمعنى هل تلقى النبي الوحي عن ملك.؟

الثالث: ما موقفه من عصمة التبليغ لمحمد ﷺ، بمعنى هل بلغ النبي الوحي كما تلقاه؟

من خلال هذه الأسئلة والبحث عن جوابها في كتاب د. شحرور "الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة"، سيظهر لنا موقفه من ثبوت الوحي.

وسنبدأ بتعريف الكتاب بناءً على منطقه اللغوي الذي نفى فيه الترادف بين الأسماء، يقول د. شحرور:"عندما تأتي كلمة كتاب معرفة بـــ أل التعريف "الكتاب" فأصبح معروفًا... هذا الكتاب "هو مجموعة المواضيع التي أوحِيَتْ إلى محمد ﷺ، من الله في النص والمحتوى، والتي تؤلف في مجموعها كل آيات المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس".(١)

هذا الكتاب يحتوي على مواضيع رئيسية هي:

١- ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة: ٣]. "كتاب الغيب".

٢- ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[البقرة: ٣]. "كتاب العبادات والسلوك".

أي أن هناك نوعين من الكتب: النوع الأول: هو الذي يتعلق بسلوك الإنسان، ككتاب الصلاة الذي يتألف من الوضوء والقيام والركوع والسجود، وهذه الكتب غير مفروضة على الإنسان حتمًا، بل القدرة على اختيار الالتزام بها أو عدم التقيد بها، ويعني ذلك أن الإنسان هو الذي يقضي "يختار" موقفه منها. وأطلق على هذا النوع في المصحف مصطلح "القضاء". النوع الثاني: قوانين الكون وحياة الإنسان، ككتاب

---

(١) تجفيف منابع الإرهاب، شحرور، ص٤٥.

الموت وكتاب خلق الكون والتطور والساعة والبعث، وهذه الكتب مفروضة على الإنسان حتمًا، وليست له القدرة على عدم الخضوع لها. وأطلق على هذا النوع في المصحف مصطلح "القدر".

ويتوجب على الإنسان أن يكتشف هذه القوانين ويتعلمها ليستفيد من معرفته لها. وبما أن محمد ﷺ هو: رسول الله، وهو نبي، هذا الكتاب يحتوي على رسالته ونبوته؛

فالرسالة: هي مجموعة التعليمات التي يجب على الإنسان التقيد بها "عبادات، معاملات، أخلاق" "الحلال والحرام" وهي مناط التكليف"، والنبوة: من "نبأ" وهي مجموعة المواضيع التي تحتوي على المعلومات الكونية والتاريخية "الحق والباطل".

وعليه فالكتاب يحتوي كتابين رئيسيين:

١- كتاب النبوة: ويشتمل على بيان حقيقةِ الوجود الموضوعي، ويفرق بين الحق والباطل أي الحقيقة والوهم.

٢- كتاب الرسالة: ويشمل على قواعد السلوك الإنساني الواعي، ويفرق بين الحلال والحرام".(١)

ثم قام بتقسيم الكتاب، على أساس المحكم والمتشابه، إلى ثلاثة أقسام، فقال:"الكتاب المحكم: أي مجموعة الآيات المحكمات، وقد أعطاها – أي الله تعالى – تعريفًا خاصًّا بها، هو أم الكتاب.﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[آل عمران: ٧].

وبما أن أم الكتاب هو مصطلح فقد عرف بمجموعة الآيات المحكمات، حيث أن هذا المصطلح جديد على العرب، فالعرب تعرف أم الرأس: "ضربه على أم رأسه" ولكنها لا تعرف أم الكتاب، – هنا نلمح روح السخرية – لذا فقد عرفه لهم، ... وهو مجموعة الآيات المحكمات. والآيات المحكمات هن مجموعة الأحكام التي جاءت إلى النبي ﷺ، والتي تحتوي على قواعد السلوك الإنساني "الحلال والحرام".

وإذا فرزنا مجموعة الآيات المحكمات على حدة، فما تبقى من آيات الكتاب بعد ذلك

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٤-٥٥.

هو كتابان أيضًا، وهما: الكتاب المتشابه: هو مجموعة الحقائق التي أعطاها الله إلى النبي ﷺ، والتي كانت في معظمها "غيبيات": أي غائبة عن الوعي الإنساني عند نزول الكتاب[1] والتي تشكل نبوة محمد ﷺ، فإذا أخذنا الكتاب المتشابه، نرى أنه يتألف من كتابين رئيسيين وردا في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧]. الكتاب الأول: سبعًا من المثاني. الكتاب الثاني: القرآن العظيم. وميزة هذه الآيات أنها إخبارية ولا يوجد فيها أوامرٌ ونواهٍ، ولكن كلها آيات خبرية "أنباء"، وكتاب آخر – ثالث – لا محكم ولا متشابه. وهذا الكتاب الآخر يستنتج من قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ حيث لم يقل: "والأخر متشابهات" فهذا يعني أن الآيات غير المحكمات فيها متشابهات وفيها آيات من نوع ثالث: لا محكم ولا متشابهٍ، وقد أعطى لهذه الآيات مصطلحات خاصًّا بها في سورة يونس، وهو "تفصيل الكتاب" وذلك في قوله:﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[يونس: ٣٧].

فهذه الآية تدلنا على وجود ثلاث مواضيع هي: ١- القرآن. ٢- الذي بين يديه. ٣- تفصيل الكتاب ... أما مصطلح "الذي بين يدي"؛ فيقصد به الرسالة "أم الكتاب".[2]

ويقول شحرور:"﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[الحجر: ١]،.. هنا نلاحظ كيف عطف القرآن على الكتاب، وفي اللسان العربي لا تعطف إلا المتغايرات، أو الخاص على العام. فهنا لدينا احتمالان:

١- أن القرآن شيء والكتاب شيء آخر، وعطفهما للتغاير.

٢- أن يكون القرآن جزءًا من الكتاب، وعطفهما من باب عطف الخاص على العام. وفي هذه الحالة يكفي عطف الخاص على العام للتأكيد وللفت انتباه السامع إلى أهمية

---

(١) لاحظ قوله: كانت غائبة عن الوعي الإنساني عند نزول الكتاب، بمعنى أنها الآن لم تعد غيب بسبب التقدم التكنولوجي والعلمي. جاءت ص٥٦، عند الشحرور.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٥.

الخاص؛ فأي الاحتمالين هو المقصود؟

والجواب القاطع على هذا السؤال أعطي في سورة فاطر:﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[فاطر: ٣١].

هنا أعطى الجواب القاطع بأنه الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب، وأن الحق جاء معرفًا أي أن الحقيقة الموضوعية بأكملها غير منقوصةٍ "الحقيقة المطلقة" موجودة في الكتاب ولكن ليست كل الكتاب، حيث أنه في الكتاب توجد الآيات المحكمات "آيات الرسالة" وهي ليست حقًّا.[١]

فكيف يُفسر لنا بأسلوبه التحايلي قول الله عز وجل:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[البقرة: ١١٩]، فقد جعل الله الحق كل مضمون رسالة الرسول محمد ﷺ.

والآيات المتشابهات "آيات النبوة" وآيات تفصيل الكتاب. وهذا الكلام غير صحيح، لأن العطف هنا "هو من عطف ما يعبر عنه بعطف التفسير؛ لأن "قرآن" بمترلة عطف البيان من كتاب وهو شبيه بعطف الصفة على الموصوف وما هو منه، ولكنه أشبهه؛ لأن المعطوف متبوع بوصف وهو "مبين"، وهذا كله اعتبار بالمعنى.

وابتدئ بالمعرف باللام لما في التعريف من إيذان بالشهرة والوضوح وما فيه من الدلالة على معنى الكمال، ولأن المعرف هو أصل الإخبار والأوصاف، ثم جيء بالمنكر؛ لأنه أريد وصفه بالمبين، والمنكر أنسب بإجراء الأوصاف عليه، ولأن التنكير يدل على التفخيم والتعظيم، فوزعت الدلالتان على نكتة التعريف ونكتة التنكير. فأما تقديم الكتاب على القرآن في الذكر؛ فلأن سياق الكلام توبيخ الكافرين وتهديدهم بأنهم سيجيء وقت يتمنون فيه أن لو كانوا مؤمنين، فلما كان الكلام موجهًا إلى المنكرين ناسب أن يستحضر المترل على محمد ﷺ بعنوانه الأعم وهو كونه كتابًا؛ لأنهم حين جادلوا ما جادلوا إلا في كتاب فقالوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم،

---

(١) سبق الرد عليه في القول بأن أم الكتاب – آيات الرسالة وهي المحكم – غير حق، راجع هذا البحث ص١٤-١٦. الكتاب والقرآن، شحرور، ٥٦.

ولأنهم يعرفون ما عند الأمم الآخرين بعنوان "كتاب"، ويعرفونهم بعنوان "أهل الكتاب"، فأما عنوان القرآن فهو مناسب لكون الكتاب مقروءًا مدروسًا وإنما يقرؤه ويدرسه المؤمنون به".[(١)]

يكمل الشحرور قائلا:"ثم أعطى للحق وظيفة ثانية، وهي تصديق الذي بين يديه. فلماذا جاء القرآن كله متشابهًا؟ وما معنى تصديق الذي بين يديه؟

هذا السؤال هو من أخطر الأسئلة التي لا يمكن بدون فهمها فهم نبوة محمد ﷺ، ولا يمكن فهم الإعجاز مطلقًا، ولا يمكن فهم كثير من الأحاديث النبوية إن صحت.

إن الله مطلق ومعلوماته مطلقة، وعند الله توجد الحقيقة الموضوعية بشكل مطلق[(٢)]، والله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أن يعلم نفسه أو يهدي نفسه. وبما أن الناس في فهمهم للحقيقة يحملون طابع النسبية، أي أنهم لا يفهمون إلا حسب الأرضية المعرفية "مستوى المعرفة" الموجودة عندهم فقد أخذ الله تعالى ذلك بالحسبان لدى إعطاء الناس ما يشاء من علمه[(٣)]

لنضرب الآن مثالًا على ذلك: إذا رغب إنسان من كبار علماء الإلكترونيات وعمره خمسون عامًا في أن يعطي المعلومات المتوفرة عنده لابنه الذي يبلغ من العمر ثلاثة أعوام، فهناك أمامه طريقان لا ثالثة لهما للقيام بذلك:

الطريقة الأولى: أن يعطيه المعلومات بالتدريج حسب السن... والخبرة، فيعطيه جزءًا بحيث يستطيع استيعابه، ثم يعطيه جزءًا آخر... وهكذا دواليك حتى يعطيه المعلومات كاملة، ولكن هذه الطريقة تتطلب اتصالًا مباشرًا دائمًا بين الأب وابنه... بحيث تزيد المعلومات مع نمو الطفل.

الطريقة الثانية: أن يعطي الأب العالم مجموعة كاملة من المعلومات الموجودة عنده لابنه

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ١٥/٨-١٠.

(٢) راجع هذا البحث ص٤٥-٤٦.

(٣) نجده هنا يشير إلى أن الله أخذ المادية التاريخية في الحسبان عند الوحي وفي هذا تألي على الله عز وجل، وفيه تشبيه لله سبحانه وتعالى بطريقة تفكير البشر.

وهو في عمر ثلاث سنوات دفعة واحدة، وبدون أن يكون هناك أي اتصال بعد ذلك. وهذا يتطلب بالضرورة أن تصاغ المعلومات بطريقة يفهمها ابن ثلاث سنوات حسب أرضيته المعروفة. ثم عندما يكبر وتزيد معلوماته يقرأ هذه الصياغة مرة أخرى فيراها مطابقة لمعلوماته النامية... ولكن هذه الطريقة تتطلب صياغة خاصة يجب أن يتوفر فيها شرطان: الأول ثبات النص والثاني حركة المحتوى.

فلنر الآن بأي طريقة اتصل الله بالناس لإعطائهم المعلومات: اتصل بالطريقتين: بالاتصال الدائم بالناس وبالاتصال دفعة واحدة.

أما الاتصال الدائم، فقد حصل عبر النبوات قبل محمد ﷺ كالتوراة والإنجيل. فبعد نزول التوراة كانت هناك رجعة من الله إلى الناس في الإنجيل. وبعد نزول الإنجيل كان هناك رجعة من الله إلى الناس في القرآن. ولكن بعد نزول الكتاب لم تكن هناك رجعة من الله إلى الناس حيث أنه لا نبي ولا رسول بعد محمد ﷺ.

وهكذا نرى أن هناك طريقتين قد استعملنا في نقل المعلومات. ففي الطريقة الأولى أي في التوراة والإنجيل تم نقل المعلومات فيهما بشكل يفهمه الناس حسب أرضيتهم المعرفية... أي أنها كانت تحمل طابع المرحلية، وأنها نزلت بصيغة كانت مطابقة لمعارف الناس وقت نزول التوراة. ولم ينتبه المفسرون المسلمون إلى هذه الناحية الخطيرة، فاعتمدوا قليلًا أو كثيرًا على التوراة في تفسير القرآن وهنا كانت الطامة الكبرى! وفي عصر النهضة في أوربا قال العلماء: إن العلم قضى على التفسير التوراتي لخلق الكون والإنسان وعمر الكون والإنسان، وحسنًا فعلوا. ولهذا وصف التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس، ولكن قبل القرآن ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ٣-٤]... وهكذا نرى التوراة والإنجيل اليوم كتابين يدرسان فقط في الكنائس للعبادة دون أن يكون لهما علاقة بالحياة. وهذا ما أراد "مشايخنا" أن يفعلوه بالقرآن وذلك بتحويله إلى كتاب في اللاهوت".[1]

---

(1) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٦-٥٨.

يقول حبنكة الميداني، رحمه الله: "هذا المقطع الصغير من كتابه الكبير المشحون بالافتراءات والتضليلات... أتابع كشف زيوفها وعوراتها، في الفقرات الأربع التاليات:

أولًا: زعم أن التوراة والإنجيل الموجودين الآن لدى اليهود والنصارى غير محرفين، وأنهما هما اللذان أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام، فبنى أبنيته الباطلة على هذه المقولة الباطلة.

ثانيًا: نسب إلى الله الكذب فيما أنزل من معلومات عن خلق الكون والإنسان، وعمر الكون والإنسان، مراعاةً للأرضية المعرفية التي كان عليها الناس، ... فالمعلومات التي أنزلها باطلة. من أشد كفرًا ممن يتهم الله عز وجل بالكذب على عباده، وهو الحق، وقوله حق؟!!... وعذر الشحرور في هذا التصور الباطل الضال المضل أنه يقيس الرب جل وعلا على أئمته الكذابين، فأئمته الشيوعيون والباطنيون والقرامطة أكذب خلق الله في الوجود كله، لأنهم لا يقتصرون على استحلال الكذب، بل يوجبونه متى كانت لهم مصلحة فيه.

ثالثًا: زعم أن مفسري القرآن من المسلمين اعتمدوا على التوراة في تفسيره اعتمادًا قليلًا وكثيرًا. هذه فريةٌ اتهم بها علماء التفسير لكتاب الله عز وجل.

رابعًا: خادع د. شحرور لتمرير فريته بأن إعجاز القرآن هو في أن نصه جاء قابلًا لتأويلات مختلفات، تتطور مع تطور الإدراك الإنساني في مختلف العصور، ليصل إلى أن التشريعات في كتاب الله القرآن قابلةٌ للتطور بالتأويلات الإنسانية. وفي هذا نسف للدين من جذوره".[1]

ويكمل د. شحرور: "أما الطريقة الثانية، وهي طريقة الاتصال دفعة واحدة لا رجعة بعدها فهي الطريقة الإسلامية وهذه لا يمكن أن تكون إلا بثبات النص، وحركة المحتوى، وهو التشابه الذي يحتاج إلى التأويل باستمرار، ولهذا فالقرآن لا بد من أن

---

(١) التحريف المعاصر في الدين، حبنكة الميداني، ص٢٩ – ٣٣.

يكون قابلًا للتأويل، وتأويله يجب أن يكون متحركًا وفق الأرضية العلمية لأمةٍ ما في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته. وفي هذا يكمن إعجاز القرآن للناس جميعًا دون استثناء. إن إعجاز القرآن ليس فقط بجماله البلاغي كما يقول بعضهم، وليس معجزًا للعرب وحدهم، وإنما للناس جميعًا. وذلك أن الناس كلًّا بلسانه... عاجزون أن يعطونا نصًّا متشابهًا، كلٌّ في لسانه الخاص بحيث يبقى النص ثابتًا، ويطابق المحتوى الأرضيات المعرفية المتغيرة والمتطورة للناس مع تطور الزمن إلى أن تقوم الساعة".[١]

هكذا ادعى ادعاءً فاسدًا "أن بيان الله عز وجل لعباده لا يمكن أن يكون على وجه الحقيقة إذا أنزله دفعةً واحدة بنصٍّ واحد، لأنه مضطر لأن ينزل بيانًا يتلاءم مع ما توصلت إليه معارف الناس التي لا توافق الحقيقة، ولا يستطيع أن يُنزل بيانًا مطابقًا للحقيقة والواقع دفعة واحدة... لو أنه تابع الاطلاع على أخبار كبار علماء كونيين أسلموا لما اكتشفوا مطابقة بعض ما جاء في القرآن الكريم بنصه الصريح دون تأويل لأحداث الحقائق العلمية عن الكون والإنسان، لما تجرأ أن يتصدى فيطلق هذه المقولة الساقطة التي تدل على جهله من جهة، وتدل على ضعف مداركه الفكرية العقلية من جهة أخرى". [٢]

ونبدأ في بيان موقف د. شحرور من مصدر الوحي، قدمنا في المبحث الأول لبعض مواقف الشحرور وأقواله في رب العالمين؛ فتحدثنا عن الله وصفاته كما جاءت عنده في معرض الحديث عن الماركسية وتطبيقاتها عند الشحرور واتضح لنا أنها تمثل حجر الزاوية في فكره، وعند حديثنا عن الأنسنة، حيث لا يعترف بوجود حقيقي لله عز وجل يليق بذاته، بل وجود مادي خارج الإدراك الإنساني. مفاده أن وجوده هو عين وجود الكائنات. وقد بينا أنه يمنح الإنسان ما يخص الخالق عز وجل من الربوبية والألوهية ويقوم بتعطيل صفات الله عز وجل ويجعلها سمات مادية مصطلحًا ومضمونًا.

---

[١] الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٦-٦٠.

[٢] التحريف المعاصر في الدين، حبنكة الميداني، ص٣٣-٣٤.

ونضيف هنا ما تبقى من ما ذهب إليه د. شحرور في حق الله عز وجل من كفر وضلال، حيث ينطلق الدكتور شحرور من منطلق الاتحاد أو وحدة الوجود، فيقول: بـــ "إن الله مطلق، ومعلوماته مطلقة"[١] هكذا بلا قيد أو شرط.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ثم منهم من قد يخرج... إلى مذهب الجهمية الاتحادية والحلولية... فيكون وجوده – أي الله – وجود الكائنات لا يميز بين الوجود الواجب والوجود الممكن، كما هو قول ابن عربي وابن سبعين ونحوهما، وهو لازم لمن جعل وجوده وجودًا مطلقًا، لا يتميز بحقيقة تخصه، سواء جعله وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق، كما يزعم ابن سينا ونحوه من المتفلسفة، أو جعله وجودًا مطلقًا لا بشرط كما يقوله الاتحادية... وأن المطلق لا بشرط ليس له حقيقة غير الوجود العيني والذهني، ليس في الأعيان الموجودة وجود مطلق سوى أعيانها؛ فيكون وجود الرب على الأول ذهنيًّا، وعلى الثاني نفس وجود المخلوقات... والمقصود هنا أن يقال: أما كون وجود الخالق هو وجود المخلوق؛ فهذا كفر صريح باتفاق أهل الإيمان".[٢]

وهذا ما صرح به د. شحرور، حيث قال أن الوجود الموضوعي خارج الإدراك الإنساني هو الوجود الإلهي، وهو ينكر صفات الله كلها، وعلى وجه الخصوص صفة الكلام، لينكر أن القرآن كلام الله، "لو كان النص القرآني المتلو أو المكتوب الموجود بين أيدينا هو عين كلام الله فهذا يعني أن الله له جنس وجنسه عربي، وأن كلام الله ككلام الإنسان يقوم على علاقة دال ومدلول. ولكن بما أن الله أحادي في الكيف: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، وواحد في الكم: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[الأنعام: ١٩]، وأن الله ليس عربيًّا ولا إنكليزيًّا، لزم أن يكون كلامه هو المدلولات نفسها، فكلمة الشمس عند الله تعالى هي عين الشمس،... فالوجود الموضوعي – أي المادي – خارج الوعي – أي خارج الإدراك – هو الوجود الإلهي..

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، كتاب توحيد الربوبية، ص٢٥-٢٦.

والوجود الكوني الذي هو كلمات الله وهو حق أيضًا... ونحن نعلم أن سمة "المتكلم" ليست من أسماء الله الحسنى، وإنما كلماته اشتقت من اسمه الحق، ومن أجل تعليم الإنسان صاغ الله الحقيقة المطلقة وهي الوجود ونواميسه العامة وأسماءه الحسنى صياغة لسانية إنسانية".[١]

ويقول د. شحرور: "فالتتريل الحكيم هو كلام الله غير المباشر، الذي نزل به جبريل على قلب الرسول العربي صوتًا ولفظًا وذكرًا ولغة".[٢]

ونلاحظ إطلاق لفظ "سمة" بدل اسم، حتى يترع الصفة التي يحملها الاسم، ويجعل الوجود الإلهي مشيأً أي من ضمن الأشياء الموجودة، وعلى ذلك لا بد أن يكون له وسم حتى نميز وجوده عن سائر الأشياء، فأطلق عليه "سمة"، وتحجج بقوله: "إذا كان الاسم من "سمو" فهو العلو والارتفاع. أي أن الاسم يعلو صاحبه ولو كان هذا الكلام صحيحًا لعرفنا اسم كل شيء دون أن يخبرنا عنه أحد لأنه يعلوه. أما إذا كان الاسم من "وسم" فهو سمة لصاحبه، أي شيء يميزه عن غيره. ونحن نسمي الأشياء لنميزها عن بعضها أي لنعطيها سمات مميزة".[٣]

ونلاحظ كذلك استخدام د. شحرور مصطلح معلومات للدلالة على علم الله، في النص السابق: "إن الله مطلق، ومعلوماته مطلقة".[٤] فمعلومات هنا لا يجوز إطلاقها في حق الله عز وجل، لأن فيها تشبيهًا بين الخالق والمخلوق.

وبعد أن نفى شحرور العلم القديم عن الله، حصر علمه سبحانه وتعالى في: "القرآن – وقال – في لوح محفوظ وفي إمام مبين هو من علم الله، وعلم الله هو أعلى أنواع التجريد، وأعلى أنواع علوم التجريد هو الرياضيات[٥] لذا قال: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ

---

[١] الكتاب والقرآن، شحرور، ص٧٢.

[٢] نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، شحرور، ص٥٧.

[٣] الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٩٦.

[٤] الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٨.

[٥] نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، شحرور، ص٣٩.

عَدَدًا﴾[الجن: ٢٨]، أي أن علم الله بالموجودات هو علم كمي بحث، فالإحصاء هو التعقل، والعدد هو حال الإحصاء. هذا القرآن موجود في لوح محفوظ وإمام مبين بصيغة غير قابلة للإدراك الإنساني وغير قابلة للتأويل، وبصيغة مطلقة"[١]، ومن خلال هذا النص نفهم ما عنى حين قال:"إن الله مطلق، ومعلوماته مطلقة" [٢]، فلقد اتضح ماذا يقصد بالمعلومات المخزنة المطلقة.

وكأنه يريد أن يشير إلى أن الله هو المادة الأحادية المطلقة، وعلاقته بمخلوقاته متمثلة في قوانين الفيزياء والكيمياء والجاذبية، فيقول: "فالربوبية هي حقيقة موضوعية – مادية – خارج الوعي الإنساني وهي علاقة الله بمخلوقاته كلها وهي علاقة سيطرة وملكية وسيادة وهي علاقة صارمة لا تبديل فيها. فعندما ندرس قوانين الفيزياء والكيمياء والجاذبية فإننا ندرس قوانين الربوبية حيث أنها قوانين صارمة تعمل خارج الوعي الإنساني"[٣]، وعلى ذلك ما هو الفرق بينها وبين وجود الله عند شحرور، إذا كانا كلامهما له وجود مادي يعمل ويسيطر خارج الفكر والإدراك الإنساني، بل أكثر من ذلك هو يصرح بأننا نحن – الإنسان المتطور عن الجنس الحيواني البشر – حين ندرس قوانين الفيزياء والكيمياء، فإننا ندرس عين قوانين الربوبية. لعله ظهر إله شحرور وما هو المقصود به.

ولد ذكرنا سالفًا بأن د. شحرور لا ينكر أن الرحمن هو اسم الله، ورغم ذلك يضع له أوصافًا من عنده، تتناسب مع منهجه المادي، فيقول:"فاسم الله الرحمن، يمثل قوانين الربوبية: السيطرة والاستحكام والتوليد، وبالتالي التطور في هذا الكون المادي الثنائي، هي تعمل بشكل موضوعي"[٤]، أي بشكل ذاتي أو آلي، فاسم الله عنده يساوي قانون السيطرة، أو يساوي المولد، ولم يكن عنده دليل إلا أن الرحمن من الرحم، والرحم

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٥٢.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٨، راجع هذا البحث ص٢٧.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٢٣.

(٤) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٤.

وظيفته التوليد.

يقول في ذلك: "جاءت لفظة الرحمن في اللسان العربي من "رحم" وهو أصل يدل على الرقة والعطف والرأفة. والرحم علاقة القربة، وأضاف القرآن الكريم لها معنى آخر، فالرحم وظيفته التوليد ومن هنا جاء اسم الرحمن على وزن فعلان... يفهم في اللسان العربي على أنه وزن ثنائية المتناقضين والزوجين والضدين".[١]

وكما بينا قام د. شحرور بتحريف النصوص وخاض في أسماء الله وعطلها عن معانيها التي تحمل صفات لله عز وجل، ليوفق المنهج المادي، مع قانون الجدل الماركسي، ويصبح الرحمن "المولد"، الذي "تنبثق منه المادة" أو "تُبَث"، في حالة جدل مع الشيطان "المثالي عدو المادية"[٢]، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الله عند د. شحرور هو الوجود المادي "المادة التي هي عند الماركسيين مولد الحياة خالق كل شيء وعنها يصدر كل شيء". لكنه متذبذب بين موقفين تعود أصولهم لفلاسفة قدماء:

الأول: سبينوزا "يهودي هولندي" الذي يعيد الفلسفة الحلولية القديمة ويعتبر المادة التي يتكون الكون والله منها هي شيء واحد، هي الطبيعة بذاتها. وهذا ظهر جليًّا في قول د. شحرور: الله مطلق ومعلوماته مطلقة.

والثاني هو: الفيلسوف الفرنسي ديكارت الذي أزاد الطين بلة، حيث اعتبر الكون من طبيعتين أساسيتين غير متداخلتين التأثير، هما الروح والمادة، وأنهما يرجعان إلى الطبيعة المطلقة "الله" التي لها تأثير منفصل على كل واحدة منها. وسميت هذه بالإثنينية. لكن هذه النظرية خلقت مشكلة كبيرة فيما بعد، وطرحت أسئلة لم تحل لحد الآن وهي كيف تتم عملية انتقال المعرفة بين المادة والروح بدون وجود اتصال أو تأثير بينهما؟

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٤.

(٢) المثالية: تقوم فلسفة هيغل المثالية على اعتبار أن الوعي سابق للمادة، بينما تقوم النظرية الماركسية على اعتبار أن المادة سابقة للوعي على اعتبار أن المادة هي من تحدد مدارك الوعي وبالتالي يتطور الوعي بتطور المادة المحيطة بالإنسان. انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، مادة: غيورغ هيغل.

(١)

إلا أن د. شحرور أوجد لهذا الإشكال مخرجًا، فقال:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥]، أي أن كل القوانين المادية الموضوعية القائمة على الثنائيات في هذا الكون والذي يليه، هي قوانين رحمانية مادية، فالله يقضي في هذا الكون من خلال القوانين المادية الموضوعية، والتي سنطلق عليها من الآن فصاعدًا "القوانين الرحمانية"، وبما أن القرآن يشرح قوانين هذا الكون والكون الذي يليه فهو رحماني، لذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢]. والقوانين الرحمانية "قوانين الجدل" الخلق ووحدة وصراع المتناقضات في الشيء الواحد وجدل الأزواج في الأشياء عبارة عن قوانين مخزنة في اللوح المحفوظ الذي يشمل على القوانين العامة الناظمة لهذا الكون،... ولكي يبين أن اسم الله هو الأساس قال:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة: ٤]. فنقول "الله الرحمن" ولا نقول "الرحمن الله"... لذا فعندما ترد لفظة الرحمن في القرآن فإنها ترد في هذا المفهوم... "المولد"... ومن خلال القوانين الرحمانية، والتي تعتبر قوانين الجدل "قانون التطور وتغير الصيرورة، وقانون الزوجية التكيف" من أساسياتها ولد هذا الكون وتشيأ: أي أصبح أشياء متميزة بعضها عن بعض، وفي هذا الكون لا يوجد شيء اسمه فراغ بدون مادة... هو فراغ مادي رحماني... أي أن الفراغ هو شكل من أشكال المادة. هذا الوجود المادي الثنائي – الذي ولد بقانوني الجدل والزوجية – أطلق عليه مصطلح كلمات الله في جوهره، وآيات الله في ظواهره لذا فإن مفهوم كلام الله في القرآن يعني الوجود المادي، ولا يعني أبدًا الفكر".[٢]

([١]) راجع: مقال "الصراع الفكري بين الماديين والمثاليين حول طبيعة الكون" بقلم يوحنا بيداوييد، منشور في العدد الأول من مجلة "اكد" التي تصدر في مدينة مالبورن، أستراليا، انظر: الإنسان والله لاهوت عقائدي، كوركيس كرمو، ١/٣٤-٦٤.

([٢]) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٦.

ويكاد يصل لنا بعد تأمل هذا النص أن د. شحرور يريد أن يقول أنه: "ومن خلال القوانين الرحمانية – قوانين الجدل–...، ولدت الحياة على الأرض ضمن قوانين الجدل المادي "البث" وتطورت وظهر البشر ككائن عضوي حي، لذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ١–٣]، أي أن خلق الإنسان تم من خلال القوانين الرحمانية وقوله:﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ لبيان مجمل هذه الحقيقة الرحمانية، أما عندما أعطى المراحل التفصيلية لنشوء الإنسان وارتقائه فقد قال: "البشر". [١]

وبعد هذا التفصيل إلى ماذا يرمي د. شحرور؟ لعله يُريد أن يوحي لنا: إن الله المادي الأحادي لم يخلق هذا الكون بقصد، بل بث من خلال القوانين الرحمانية والتي أفهمنا معناها بأنها قوانين الجدل وهي قوانين مادية، وهي دائمًا في صيرورة مستمرة – صراع المتناقضات في هذه المادة الثنائية – مما ينتج عنها التطور، بث هذا الكون، أولد أو انبثق، وأصبح أشياء متميزة بعضها عن بعض، ثم بعد ذلك تطورت وظهر البشر – عند د. شحرور "البشر": جنس حيواني من المملكة الحيوانية[٢]، وفي النص السابق أطلق عليه كائن عضوي حي – في هذا الكون من خلال الصيرورة المستمرة.

بعد هذا البيان هل من الممكن اعتبار الشحرور رجل مؤمن بالله كما يدعي في مقدمته[٣]، إلا إذا كان يقصد بذلك إيمانه بالمادة الماركسية فعلى هذا النحو أنا أشهد له بهذا الإيمان؛ الذي جعله من الناسين لله سبحانه وتعالى: قال عز من قائل:﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر: ١٩]. وقال سبحانه وتعالى:﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧]. فعاقب سبحانه من نَسِيهُ عقوبتين: إحداهما: أنه سبحانه نسيه. والثانية: أنه أنساه نفسه[٤]نسأل الله السلامة والثبات.

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٩.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٥٩. ولقد ورد هذا النص، في البحث ص٣٥.

(٣) قال: "مع التأكيد أنني عربي مؤمن مسلم" في مقدمة كتابه "الكتاب والقرآن"، ص٣٢.

(٤) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الشفاء الشافي، ابن القيم الجوزية، ص١٠٤.

ويؤيد هذه النتيجة التي وصلنا لها قول د. شحرور السابق[١]: "على الرغم من علمي أن احتمال وجود الله يشكل ٥٠:٥٠، كما يقول ستيفن هوكنغ، "يظل بمقدوري على أقل تقدير أن أخبر الناس عن سبب إيماني بالله، ثم أترك للآخرين أن يقرروا إلى أي حد حجتي مقنعة. ليس بودي هزيمة النزعة الإلحادية ولا أرغب في أن يقوم أي ملحد بدحض إيماني كل ما لدي الآن هو حجة قوية على وجود الله سوف يحكم الناس على مدى قوتها". [٢] ولعلي وفقت لهذا.

أما عن موقفه من عصمة النبي ، في التلقي. يقول د. شحرور: "قال – يقصد الله عز وجل – ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤]، في هذه الآية يوجد إنزال للذكر وتنزيلٌ له.

والإنزال هو بيان التنزيل، وهذا البيان "الإنزال" هو الصيغة اللغوية بلسان عربي مبين، وعليه فإن إنزال الذكر هو إنزال الكتاب كله "الحكم والقرآن" بصيغة لغوية عربية ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[يوسف: ٢]، مجتمعين مع آيات تفصيل الكتاب والتي هي بالضرورة عربية لأنها تشرح مفردات الكتاب من القرآن وأم الكتاب وتشرح الإنزال والتنزيل... وقد استعمل التنزيل للذكر في قوله:﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، وذلك لتبيان أن الذكر جاء وحيًا ماديًّا من خارج إدراك محمد ﷺ أي أنه صيغ خارج وعي محمد ﷺ، وأن التنزيل عملية مادية حصلت خارج إدراك محمد ﷺ، ودخلت إدراكه بالإنزال".[٣]

وسوف أدرك د. شحرور يقوم بشرح النص السابق وماذا يقصد به في حق تلقي الرسول ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟

يقول: "إن شرح الفرق بين الإنزال والتنزيل يعتبر أحد المفاتيح الرئيسية لفهم الكتاب

---

(١) راجع هذا البحث ص٢٦.

(٢) القرآن والأخلاق والعقل النقدي: أعمال محمد شحرور الأساسية، أندرياس كرستمان، محرر ومترجم، ص٥٢٧. نقلًا عن كتاب: تأملات في بنية الإطار المفهومي عند الشحرور، كريم اللحام، ص٧٣.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٦٣–٦٤.

بشقيه: النبوة والرسالة، كما له علاقة كبيرة بمبادئ التأويل... والآن لنأخذ التنزيل والإنزال:

فالتنزيل: هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني. – أي نقل مادي حقيقي – والإنزال: هو عملية نقل المادة المنقولة خارج الوعي الإنساني، من غير المدرك إلى المدرك، أي دخلت مجال المعرفة الإنسانية.

هذا في حال وجود إنزال وتنزيل لشيء واحد مثل القرآن والماء والملائكة والمن والسلوى. أما في حالة وجود إنزال دون تنزيل كما في حالة الحديد واللباس، فإن الإنزال: هو عملية الإدراك فقط "أي المعرفة فقط". لنأخذ الآن أمثلة عادية على الإنزال والتنزيل، وأود أن أنوه بأن المكتشفات العلمية والتكنولوجية في النصف الثاني من القرن العشرين، هي التي سمحت لنا بفهم الإنزال والتنزيل والجعل بهذه الدقة[١]المثال الأول: مباراة حية في كرة القدم بين البرازيل والأرجنتين تجري في المكسيك. فاللاعبون... من لحم وعظم... وهناك في دمشق شخص يريد أن يشاهد هذه المباراة حية. وحتى تدخل ضمن إدراكه يجب القيام بعمليات:

١- الوجود المادي للمباراة... ٢- التقاط المباراة صوتًا وصورة... ٣- بث المباراة عن طريق الأمواج بواسطة الأقمار الصناعية... ٤- وجود جهاز تلفزيون أو راديو لاقط، يأخذ هذه الأمواج ويحولها مرة ثانية إلى صوت وصورة... فعند ذلك يدرك المشاهد في دمشق ما حدث في مباراة المكسيك... الآن لنناقش في هذا المثال أين الإنزال وأين التنزيل: عملية نقل المباراة الأصلية عن طريق الأمواج من المكسيك إلى دمشق هي التنزيل، لأن هذه العملية تمت خارج وعي المشاهد في دمشق، والنقل حصل ماديًّا خارج وعي المشاهد بواسطة الأمواج. أما عملية دخول الأمواج إلى جهاز

---

(١) وكلامه يتضمن القدح في تمام كمال التبليغ من النبي ﷺ للوحي، ويعول في ذلك على المكتشفات العلمية والتكنولوجية التي سمحت له بفهم ما جاء عن النبي ﷺ، قبل ١٤٠٠ عام. وذلك إجلال منه واعتراف بحق هذه المخترعات، فلا عجب من جعل علماء التكنولوجيا والمكتشفات العلمية، ورثة الأنبياء كما صرح سابقًا!!.

التلفزيون ليحولها إلى صوت وصورة أي إلى حالة قابلة للإدراك من قبل المشاهد فهذا هو الإنزال".[1]

وعلى ذلك: "التتريل: هو نقله مادية حصلت خارج الوعي الإنساني كالنقل بالأمواج، ولكن حصلت عن طريق جبريل إلى النبي ﷺ. وهو الذي تم على مدى ثلاثة وعشرين عامًا. ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال وحصلا دفعة واحدة، وافتراق التتريل حيث جاء في ثلاثة وعشرين عامًا. لذا بعد الجعل والإنزال قال:﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس: ١٣-١٦]. وبما أن القرآن له وجود مسبق وجاهز قبل التتريل وحصول التتريل منجمًا يبرز السؤال التالي: لماذا لم يتم التتريل "النقلة الموضوعية بعد الجعل والإنزال" دفعة واحدة؟

وكان الجواب على هذا:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان: ٣٢]."[2]، "هنا ذكر الفؤاد في مجال التتريل هو تبليغ القرآن للنبي ﷺ بشكل مباشر عن طريق الوحي، حيث أن القرآن لم يأت للنبي ﷺ عن طريق السمع والبصر لكي يتثبت الإنسان ما سمع وما أبصر، ولو جاءه دفعة واحدة لوقع فيه الشك بين الوهم والحقيقة.

علمًا بأن بداية الوحي كانت بداية فؤادية بحتة حيث جاءه جبريل صوتًا وصورة وعلمه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: ١]، ولو بدأ الوحي بداية مجردة لما صدق النبي ﷺ ذلك. وهذه ناحية مهمة جدًا لنا نحن المسلمين بأن بداية الوحي كانت بداية فؤادية لها علاقة مباشرة بالسمع والبصر حيث جاءه جبريل مشخصًا".[3]

وينكر الشحرور أن يكون لأسباب التزول، علاقة في نزول القرآن منجم: "قد يقول الفقهاء إن للتتريل في القرآن أسبابًا، وأقول إن القرآن ليس له علاقة بأسباب التزول

---

[1] الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٤٩، ١٥٠.

[2] الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٥٤.

[3] الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٧٠.

لأنه كان سيأتي سُئل عنه أو لم يسأل، حيث أن معظم الأسئلة كانت في أم الكتاب أو تفصيل الكتاب. ومجال حديثنا هو القرآن. أما بالنسبة للقصص فقد تم سؤال النبي ﷺ عن أهل الكهف وذي القرنين، ولكن السؤال هنا ليس له معنى لأن قصة أهل الكهف وذي القرنين كانت ستأتيه على كل حال سئل أو لم يسأل لأن بقية القصص جاءت كلها دون سؤال"[١]، ويقول: "أسباب النزول ليس لها أي معنى في القرآن، لأن تنزيل القرآن على النبي ﷺ هو حتمي، سئل عنه أو لم يسأل".[٢]

و"القرآن في اللوح محفوظ وفي إمام مبين هو من علم الله، وعلم الله هو أعلى أنواع التجريد، وأعلى أنواع التجريد هو الرياضيات... أي أن علم الله بالموجودات هو علم كمي بحت. فالإحصاء هو التعقل، والعدد هو حال الإحصاء... فعندما أراد الله أن يعطي القرآن للناس فالمرحلة الأولى كانت تحويله إلى صيغة قابلة للإدراك الإنساني النسبي، أي جرت عملية تغيير في الصيرورة.. أي كان له وجود مسبق قبل أن يكون عربيًّا فجعله عربيًّا "أي في صيرورته" وهذا معنى الجعل.

ولكنه أيضًا قال:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[يوسف: ٢]، والإنزال: هو نقل غير المدرك إلى المدرك. أي كان القرآن غير مدرك "غير مشهر" فأصبح مدركًا، وهذا ما جاء في الإنزال".[٣]

هكذا يكون تحريف المضلين العابثين المتلاعبين، الذين يلحدون في آيات الله، يحرفونها ويميلون بها عن سواء السبيل، فتنةً وتضليلًا.

الشحرور ينكر إنزال الوحي من السماء إلى الأرض عن طريق جبريل، ويجعل من الكلمات واللعب عليها سبيل كعادته في إنكار ثوابت الدين والعقيدة، يؤول إنزال الوحي ويجعل تأويله عبارة عن صراع بين مفردات اللغة العربية، فيجعل الإنزال: نقل

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٥٤.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٥١.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٥٢-١٥٣.

موضوعي – نقل مادي –، لرموز الوحي بواسطة جبريل من اللوح المحفوظ، عن طريق البث، ونقشها في دماغ النبي محمد ﷺ.

ثم يكون التتزيل: عبارة عن فك الشفرة المرمزة، وإدخالها وعي محمد ﷺ بعد أن عربت، بمعنى تحويلها من صيغة رموز أو الصيغة المشفرة إلى اللسان العربي المبين.

يقول شحرور: "أما التتزيل للملائكة فيعني نقلة مادية موضوعية خارج الوعي الإنساني كنقل الصوت والصورة عن طريق الأمواج،... وهو أن تنزل الملائكة تتزيلًا ماديًّا ولكن دون أن يراها أحد ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: ٤]، أو أن ترى وتسمع ولكن دون أن تدرك أو تعقل".[١]

إن فساد النصوص السابقة ظاهر البطلان، ويهدم نفسه بنفسه، لكن أبت نفسي إلا أن أرد على هَرَفِهِ وتضليله، فهو يظن أنه بهذا السبيل وبهذه الأمثلة التي تعكس لنا مدى ضحالة فكره، يُسقط من نفوس المسلمين قَداسة الوحي، وقُدْسِية الرسول ﷺ، وقد يصل لهذا عند من في قلبه مرض، لكن الحق: هو يبين جليًّا ما معنى خذلان الله للعبد، هو هان على خَالِقِهِ، فكان عنده ممن قال في حقهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[محمد: ٢٣]، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[الحج: ١٨].

فعند قول د. شحرور: نقلها آليًّا إلى الناس، ماذا يقصد بذلك، وهل محمد ﷺ عند الشحرور مجرد جهاز راديو أو تلفاز ينقل ما تَنَزَّل عليه من موجات على فؤاده؟ على طريقة بث دون أن يدرك ما ينقل للناس؟

يقول شحرور: "أما قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[آل عمران: ٧]، فهو: بما أن القرآن حقيقة مطلقة فتأويله الكامل لا يكون إلا من قبل واحد فقط، وهذا الواحد هو الله المطلق. ولهذا قلت: إن النبي ﷺ لا يعلم التأويل

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٦٧–١٦٨.

الكامل للقرآن بكل تفاصيله لأنه يصبح شريكًا لله في مطلق المعرفة".[١]

وهذه حجة واهية من الشحرور، إذًا لا إشكال عنده من جعل نفسه والراسخون في العلم، شركاء لله في ربوبيته وألوهية تعالى كما سبق معنا، ولكن الحق هو أن: "مهمة النبي ﷺ كانت نقل القرآن إلى الناس دون تأويل، وفي هذا كان عجب العرب بأن يترل القرآن على محمد ﷺ في شبه جزيرة العرب، والعرب قوم متخلفون عن غيرهم فكانت تجاورهم فارس والروم، وكان الروم والفرس متقدمين من الناحية العلمية والحضارية على العرب:﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: ٣١]. لاحظ أن هذه الآية جاءت حول القرآن فقط، وليس حول أم الكتاب. والقرآن لا علاقة له بأسباب الترول، والقريتان هنا هما الروم والفرس... لا مكة والطائف".[٢]

إذًا الرسول ﷺ من وجهة نظر الشحرور رجل متخلف من جزيرة العرب، لا دراية له ولا علم بما نقل، حاسبه الله بما هو أهله، على ما قال ويقول في الدنيا قبل الآخرة؛ لذلك كانت مهمة الرسول ﷺ عنده: هي نقل النصوص وبثها فقط.

وكيف كان محمد ﷺ أن يعلم بتأويل ما يوحى إليه، وهو عند الشحرور يصرع ويغيب عن الوعي، يقول د. شحرور: "لقد كان الكتاب يوحى إلى النبي ﷺ وحيًا مجردًا بواسطة جبريل، وكان يغيب عن الوعي ويصحو، فإذا بالآيات الموحاة منقوشة "مسجلة" في دماغه لذا قال:﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾[البقرة: ٩٧]. وقال: ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[سورة الشعراء: ١٩٤]".[٣]

ويقول:"حيث قالوا: إن النبي كانت تأتيه نوبات من الصرع، وقد حصل هذا الوهم من أن النبي ﷺ كان يغيب عن الوعي، ويتفصد عرقًا، حين يأتيه الوحي، وبعد أن

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٩٢.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١١٩.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٢٧٥.

يتركه الوحي، كان يصحو ويعود إلى وعيه".[١]

ويحاول أن يعلل هذا الطعن في رسول الله ﷺ، ولكن بصيغة علمية، على طريقة شحرور، العالم بكل شيء: "لأنه لا يمكن أن نعطي للإنسان معلومات مباشرة، إلى دماغه وحواسه تعمل"[٢]، ثم قال: "وعلى هذا فإنه من الناحية العلمية لا غرابة أبدًا بأن يغيب النبي ﷺ عن الوعي أثناء الوحي".[٣] إن ما زعمه شحرور يعد قدحًا صريحًا في عصمة تلقي النبي ﷺ للوحي.

وعلينا أن ننوه هنا بخطورة طرح د. شحرور، إذ يطعن وبشكل صريح ومباشر بعصمة الرسول ﷺ في تلقي الوحي، ويرد قول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا • إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا • لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[الجن: ٢٦-٢٨]. وجميعنا يعلم حكم من رد آي من كتاب الله.

وأين ما وعد المؤلف بالتزامه، من اعتماده على خصائص اللغة العربية، وتبنيه للمنهج التاريخي العلمي في الدراسة اللغوية، المستنبط من اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية، والتي بلورت على "خصائص" ابن جني، ونظرية النظم للجرجاني، وهو يقوم بإخراج الكلمات من سياقها، ليوقع عليها المعنى الماركسي الذي يريد؟ لماذا الآيات في كتاب الشحرور يتم الاستشهاد بها على هيئة كلمات متقطعة مبتورة؟

الجوابُ بينٌ؛ لأنه يعلم أنه لو وضع آيات الكتابِ كاملةً لشهدت بعكس ما يكذب به متعمدًا على الله ورسوله، والشاهد على ذلك أننا لو أكملنا الآيات السابقتان، ستشهد بأن محمدًا ﷺ، كان هاديًا، ونذيرًا بلسانٍ عربي مبينٍ، فهل من الممكن عقلًا، أن يكون هاديًا، وهو لا يدرك ما بعث به؟ وعلى ذلك يستحيل عقلًا عدم عصمته في التلقي

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٣٨٣.

(٢) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٣٨٣.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٣٨٣.

والتبليغ، قال عز وجل:﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وكيف سيؤول قول الله تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]. وكما نفى عن النبي ﷺ حق التفسير لكتاب الله كذلك سلبه عن الصحابة، يقول: "وبما أن النبي ﷺ والصحابة جميعًا، لم يفسروا آيات القصص القرآني والكونيات، ولم يفسروها هم أنفسهم في تفاسيرهم، فقد حذروا الناس من الاقتراب منها، ودفعوهم بعيدًا عنها، بوضعهم قاعدة أنك كلما اقتربت من السلف في التفسير "أي المأثور" أصبت. رغم أن العكس صحيح، فكلما ابتعدت عن المأثور بالزمان والمعارف اقتربت من فهم التتريل".[١]

وينفي الشحرور أن يكون لعلماء التفسير والشريعة دور، في تفسير كتاب الله، ويمنح هذا الحق، لعلماء الطبيعة والكون، والتكنولوجيا، والفضاء، والفلسفة، والفرية العظيمة هنا هو شهادته لهم بالإيمان، مع أن جلهم ملحدون بالله عز وجل، فيقول: "أما معرفة التأويل المتدرج المرحلي فهو من قبل الراسخون في العلم كلهم مجتمعين لا فرادى. وهنا يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين. ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء، لأنهم ليسوا معنيين في رأينا بهذه الآية، لأنهم أهل أم الكتاب. – أي آيات الرسالة كما يقسم، المحكم من القرآن –. والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أرضيتهم المعرفية ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية، ويتقدم التأويل والعلم في كل عصر حتى قيام الساعة، فعند ذلك يتم تأويل كل الآيات التي تتعلق بهذا الكون وهذه الحياة "حيث تصبح هذه الآيات بصائر"... إن

---

(١) الدولة والمجتمع، محمد شحرور، ص٣٠.

هؤلاء الراسخين في العلم هم بالضرورة من المؤمنين لأنهم يقولون: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، "أم الكتاب والقرآن وتفصيل الكتاب". فمن هم الراسخون في العلم؟ لقد وضع الكتاب تعريفًا لهم بقوله:﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[العنكبوت: ٤٩]... فالصدر هنا تعني ما نقوله الآن "الصدارة" كأن نقول إن إسحاق نيوتن يحتل مركز الصدارة بين علماء الرياضيات، وإن أينشتاين يحتل مركز الصدارة بين علماء الفيزياء. فالراسخون في العلم هم من الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة، وهؤلاء من أمثال "البيروني، الحسن بن الهيثم، بابن رشد، إسحاق نيوتن، أينشتاين، تشارلز داروين، كانت، هيجل"... إن النتيجة المباشرة لما قلنا، هي أن كل التفاسير الموجودة بين أيدينا ليست أكثر من تفاسير تاريخية مرحلية للقرآن، أي لها قيمة تاريخية لأنها نتاج أشخاص عاشوا منذ قرون".(١)

وهنا يصرح الشحرور بتاريخية كل نصوص الوحي الموجودة بين أيدينا سوءا ما نقلت عن النبي ﷺ أو عن صحابته، إذ لا تعدوا عند الشحرور أن تكون نتاجًا لظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي أسهمت في تشكيلها(٢)، وعلى ذلك نبقيها نجاحات واجتهادات لتلك الحقبة التاريخية.

وبالتالي هو يفتح باب تأويل القرآن، لأنه قابل للتطور حسب ما يتوصل له الإنسان من اختراعات واكتشافات تبعًا لتطور سير التاريخ الإنساني.

د. شحرور لم يكتفِ بسلب الرسول ﷺ دوره في تفسير الكتاب، والصحابة والتابعين، بل جعل اقتصارنا على تراثهم كما يزعم، كان سببًا في تأخر العالم الإسلامي وضعفه: "ولقد اهتم العرب بفهم الرسالة اهتمامًا شديدًا وأعطوها كل وقتهم وجهدهم وجاهدوا في نشرها بين الأمم ولكنهم لم يهتموا بفهم القرآن، لأن القرآن بحاجة إلى تفرغ ووضع حضاري معين وبحث علمي، لذا قال تعالى:﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني، ص٢٠٩.

النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[الإسراء: ١٠٦] قال: "على الناس" ولم يقل على الذين اتقوا، فكلما زادت معاهد البحث العلمي، وزاد عدد المتفرغين لهذا البحث وزاد عدد الاختصاصات زاد فهم الناس للقرآن. هذه الشروط لم تكن متوفرة في عهد النبي ﷺ وهذه الظاهرة وردت في سورة الفرقان بقوله:﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان: ٣٠]، فقوم الرسول هم العرب، كل العرب، لاحظ قوله: "إن قومي" إذ لم يقل: "إن الذين كفروا من قومي"، ولو عنى المسلمين لقال: "أمتي" لأن العرب قومه والمسلمين أمته. هذه الآية تنطبق على العرب بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدين من أبي بكر الصديق إلى علي بن أبي طالب".(١)

لذلك يجب علينا، كمسلمين أن ننظر في تلك الأطر والمسلمات الموروثة، ونتركها للراسخون في العلم، ولمعاهدهم وأبحاثهم، يعيدون صياغة عقيدتنا، لنلتحق بركب حضارهم!؟، يقول د. شحرور: "أن العرب منذ أن بعث الله محمدًا ﷺ إلى يومنا هذا، قد اهتموا برسالته وهجروا نبوته. ولكن اهتم بنبوة محمد ﷺ كل معاهد الأبحاث العلمية والجامعات في العالم، لأن نبوته هي قوانين الحقيقة الموضوعية المادية والتاريخية وهذا ما تهتم به المعاهد والجامعات وما بحث فيه كل فلاسفة العالم قاطبة ابتداء من أرسطو وأفلاطون، مرورًا بكانت وإنجلز وهيجيل وديكارت... هذه هي الناحية التي أغفلها المسلمون عند وضعهم لقواعد التأويل... وما زلنا نعيش هذه المأساة إلى يومنا هذا، حيث ورثنا مسلمات عقائدية نظن أنها قرآنية وهي لا تمت إلى القرآن بصلة... لذا علينا إعادة النظر بالمسلمات التي نظن أنها إسلامية وهي ليست كذلك... ولا يمكن أن تحل هذه المشكلة إلا إذا أعدنا النظر في الأطر العقائدية التي ورثناها، لأن حل المشكلة العقائدية يؤدي بشكل آلي إلى حل الأزمة الفقهية، أي علينا إعادة النظر في أمور مهمة مثل مقولات ثبات الأعمار، ثبات الأرزاق، هل الأعمال مكتوبة أو غير

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٢٩.

مكتوبة؟ الحرية الإنسانية "القضاء والقدر"، نظرية المعرفة الإنسانية، والمعرفة الإلهية".[١]
والخطير هنا أنه جعل آيات العقيدة كلها من القرآن والمتشابه، ليكون دائم التغير وقابل للتطور، في كل عصر حسب القاعدة الفكرية، والعلمية، لكل زمان وأي أمة.
وما استحق القرآن، أو آيات النبوة لمحمد ﷺ هذه المكانة العظيمة عند شحرور إلا لأنها بمثابة العصا لموسى، أو بمثابة إحياء الموتى وإبراء الأكمه بإذن الله عنه عيسى.
يقول شحرور: "كانت نبوة موسى ورسالته ونبوة عيسى ورسالته بحاجة إلى تصديق، وجاء التصديق خارجًا عن النبوة وعن الرسالة، وذلك بما سماه الآيات البينات.
وبالنسبة لمحمد ﷺ، كانت نبوته القرآن الكريم والسبع المثاني وتفصيل الكتاب، ورسالته أم الكتاب "الأحكام". فلو كان الأمر على غرار موسى وعيسى لأتته الآيات البينات من خارج النبوة والرسالة... فالقرآن هو الآيات البينات، وهو تصديق الذي بين يديه. والهاء في "بين يديه" إما تعود على القرآن أو تعود على الله سبحانه وتعالى.
فما الذي كان بين يدي محمد أو بين يدي القرآن حين تزله وبحاجة إلى بينة؟
الشيء الوحيد الذي كان يوجد حين نزول القرآن هو الأحكام "الرسالة". فالقرآن جاء مصدقًا لأم الكتاب وهي التي سماها الله "كتاب الله". لأن الأحكام ليست بينات في ذاتها وهي قابلة للتقليد، وإنما بحاجة إلى بينات من خارجها. والبينات موضوعية – مادية – مبصرة.
إني لأعجب تمامًا العجب كيف ظن الفقهاء والمفسرين أن الذي بين يديه هما التوراة والإنجيل فبذلك قصموا ظهر نبوة محمد ﷺ حين أكدوا أنها ما جاءت إلا لتخبر الناس أن التوراة والإنجيل الموجودين في بداية القرن السابع الميلادي حين نزول القرآن هما صحيحان لا أكثر من ذلك ولا أقل من ذلك! وإذا كان هذا هو الهدف من نبوة محمد ﷺ فقط، فأعتقد أن أشد اليهود والنصارى تزمتًا وتعصبًا سيؤيدون ذلك لأن كلًّا من التوراة والإنجيل الحاليين هما نفس التوراة والإنجيل في القرن السابع. والأجدر بنا حينئذ

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٨٤-٨٥.

نحن المسلمين أن نعتنق اليهودية أو النصرانية!! لأن الهدف من نبوة محمد ﷺ هو تصديق العهد القديم والعهد الجديد المعروفين في القرن السابع؟.. ولنوضح الآن الصورة بشكلها النهائي فنقول: أراد الله سبحانه وتعالى أن يبلغ رسالته للناس "الأحكام" ليبين لهم فيها الفرق بين الحرام والحلال، ويبين لهم فيها العبادات والأخلاق وقواعد السلوك الإنساني. هذه الأحكام بمجموعها تسمى "كتاب الله"، وهي بحاجة إلى توقيع ممن أرسلها أي أن تكون مصدقة منه "التوقيع والختم" ليعلم الناس أنها من عنده. فوقع سبحانه وتعالى على هذه الرسالة بتوقيعة وكان توقيعه "القرآن والسبع المثاني" حيث جعل حقيقة الوجود تصديقًا لقواعد السلوك. فالرسالة هي كتاب الله "الأحكام"، والنبوة "القرآن" وفيه كلام الله "قوله الحق" الذي هو القوانين المطلقة للوجود. فصدق القرآن كتابه الذي هو قواعد السلوك الإنساني. ولله المثل الأعلى".[1]

وكل ما سبق يظهر المدى الذي وصل غليه الشحرور، في الكيد للإسلام وأهله، فهو يتعرض لعقائد الإسلام الأساسية، من خلال تفكيك النصوص إلى كلمات، ووضع معانٍ لها من عند نفسه، ظلمًا وعدوانًا، ونلاحظ أن شحرور يقرر معاني الألفاظ، دون الرجوع إلى معاجم اللغة. ثم طرح فكرة مغلوطة مفادها أن القرآن أتى ناسخًا لا مصدقًا للإنجيل والتوراة على عكس ما هو مصرح به في آي القرآن، وفي ذلك إيحاء بأن الإسلام لا يعترف بالإنجيل والتوراة، وفي هذا طعن بوحدة مصدر الأديان وتكاملها.

فهو لم يكتفِ بتشبيه الله عز وجل بخلقه، وإصراره المتوالي على تجسيمه، تعالى الله عما يصف المبطلون. ولم يكتف بالقدح في علم النبي ﷺ، وفي فهم صحابتهِ لوحيه رضي الله عنهم، جاء في هذا النص بفريةٍ جديدة، مفادها، أن آيات المحكم – أو كما يسميها الشحرور "آيات الرسالة" – قابلة للتزوير، وأن مهمة القسم الأول من أقسام الكتاب "القرآن والسبع المثاني، وتفصيل الكتاب" حمايته وحفظه من التزوير، والتصديق به" أي

---

(1) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٨٨-٨٩.

جعله بينه، أنه من الله.

يقول الشحرور: "وهذا ما أكده الله سبحانه وتعالى، في سورة المائدة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾. فالكتاب بالحق هو القرآن وهو النبوة مع تفصيل الكتاب، هذا القرآن وهو تصديق لما بين يديه من الكتاب، وأم الكتاب هي من الكتاب حيث تشكل مع القرآن الكتاب. أي الوظيفة الثانية للقرآن بعد تصديق أم الكتاب "إلى بين يديه" هي الهيمنة على أم الكتاب، والهيمنة في اللسان العربي تعني الحفظ والرقابة... إن النتيجة الأساسية التي نستنتجها من تفصيل الكتاب أن هناك سورًا في الكتاب كلها قرآن، وسورًا كلها من أم الكتاب أي أن كل آياتها محكمات فتصبح السورة محكمة، وفعلًا هناك سورة واحدة فقد في الكتاب محكمة ليس فيها قرآن، وقد نبهنا الله لهذا في سورة محمد في قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾[محمد: ٢٠]... فإذا تصفحنا الكتاب نرى أن هذه السورة المحكمة هي سورة التوبة... ثم نرى أن هذه هي السورة الوحيدة في الكتاب التي لا تبدأ بـــ "بسم الله الرحمن الرحيم" والسبب في ذلك هو عدم وجود أي آية من آيات القرآن فيها وبالتالي لا يمكن أن يكون اسم الرحمن في البسملة، لقوله:﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ لذا حذفت البسملة كلها لأن القرآن كله رحماني حيث أن آية ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ تعني أنه وضع اسمه الرحمن علامة للقرآن لكي يميز، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم واعين لهذه الحالة تمامًا حيث وضعوها سورة لوحدها، ولم يعتبروها تتمة لسورة الأنفال".[1]

وهنا نوجه سؤالًا مهمًّا مفاده: إذا كانت آيات القرآن "المتشابه" رحمانية، وآيات أم الكتاب "المحكم" غير رحمانية، فما عساها تكون؟

مع العلم أن المؤلف جعل مصطلح "الشيطان" في كتابه مقابل أو نقيض لمصطلح

---

[1] الكتاب والقرآن، شحرور، ص١١٦-١١٨.

"الرحمن".

ثم في جعله اسم الرحمن علامة للقرآن، إذا هو جردها من دلالتها على الذات الإلهية، فإذا كانت علامة، كيف لعلامة أن تخلق الإنسان وتعلمه؟ وهذا الكلام فيه هدم لحقائق اللغة ومدلولاتها، لأن الكلمة لا تكتسب معناها إلا من سياقها، لأنها متى جردت منه لم يعد لها قيمة، وهذا مدلول كلام الجرجاني كما نبهنا عليه في أكثر من موقف، وفي هذا دلالة واضحة على عدم التزام د. شحرور بمنهجه.

أما قوله: إن الصحابة هم الذين وضعوا ترتيب السور في القرآن، وهذا فيه إيذان لفتح باب ترتيب سور القرآن، وآياته، لأن الصحابة رجال غير معصومين وهو كذلك رجل مثلهم وله ولغيره يفتح هذا الباب على مصرعيه، على غرار ما صنع في فتح باب التأويل، للمؤمن والكافر. فلم يرعَ لكتاب الله حرمة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبذلك يكون قد طعن في عصمة ما بلغ النبي محمد ﷺ به، وما تكفل الله بحفظه، وكذب بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].فرسول الله ﷺ من وجهة نظر د. شحرور، بلغ الرسالة لكنه لم يبلغها من أبلغ، وكعادته يلعب ويعبث في كتاب الله المحفوظ – على حبل الكلمات المتقطعة –، رغم أنفه دون أن ينزع قدسية القرآن من صدورنا، فيقول: "إن الهمزة: في اللسان العربي تعطي معنى التعدي. مثال على ذلك: بلغ وأبلغ. فلدينا مصطلحان هما البلاغ والإبلاغ. ولنأخذ الآيات التالية: قال تعالى:﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[المائدة: ٩٩]. وقال:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧]. "بلاغ".﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[الأعراف: ٩٣]. "إبلاغ"... عندما أمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ:﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولو قال أبلغ ما أنزل إليك من ربك، لوجب على النبي أن يتأكد من أن كل إنسان معني بهذا البلاغ قد أدرك ووعى محتويات البلاغ، وبما أنه رسول الله إلى الناس جميعًا فيجب عليه في حالة الإبلاغ أن يطوف الدنيا ويتأكد من أن كل شخص وصله البلاغ. ولأن هذا متعذّر... فقد

قال في حجة الوداع: "ألا هل بلغت" ولم يقل ألا هل أبلغت "اللهم فاشهد". [(١)]
تكلمنا في ما مضى عن موقف د. شحرور من آيات الرسالة الخاصة بمحمد ﷺ، وهي "ما يخصها بالشريعة فقط، وأنه لا علاقة لها باللوح المحفوظ والإمام المبين، بل أوحيت مباشرة من الله تصحيحًا منه، أي أن الآية "عبس وتولى" جاءت إلى النبي ﷺ، تصحيحًا من الله أي أنه لو لم يعبس النبي ﷺ بعبد الله بن أم مكتوم لما نزلت هذه الآية مطلقًا. لذلك فآيات الرسالة تخضع للتبديل والاجتهاد، وتخضع لأسباب النزول، وهي ليست مطلقة والله مطلق، لذلك هي مرحلية، قابلة للتزوير والتغيير، ليس لها علاقة بالقرآن، وهي ليست كلمات الله وليست حق، وهي خالية من الإعجاز تمامًا، وهي بحاجة إلى حفظ وهذه هي مهمة القرآن، والقرآن مخلوق وهي منزلة، من الخطأ أن تقول أن الله يخلقها ثم ينزلها، لأن خلق الله حق وهي ليست حق، إنما هي سلوك".[(٢)] ماذا ترك هذا الضال المضل لرسول الله ﷺ، سلب منه سلامة العقل، وتمام الفهم في آيات النبوة، وهنا سلب عن آيات الرسالة أن تكون كلمات الله أو أن تكون حقًّا؟ فما عساها تكون؟ ثم هل ترك لها ضِلعٌ سليم تَرْكُن إليه؟
يقول الميداني رحمه الله تعالى: "بعد أن شحذ المحرف الماركسي د. شحرور ساطوره وضرب به على طريقة الجزارين الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على رسوله محمد ﷺ فقسمه إلى قرآن، وأم كتاب، وأقسام أخرى، وجعل القرآن ما اشتمل منه على بيان ظاهر الوجود المادي الموضوعي، وقوانين الطبيعة، وجعل أم الكتاب ما اشتمل منه على أحكام سلوك الإنسان في الحياة. بعد هذا ألغى دور الرسول محمد ﷺ في الأمرين معًا، وزعم أنه مبلغ رباني فقط. أما تأويل قسم "القرآن" فادعى أن الرسول لم يكن عالمًا به، وزعم مفتريًا أن تأويل هذا القسم هو من اختصاص الفلاسفة وعلماء الطبيعة وعلماء فلسفة التاريخ،... وزعم أن هذا القسم يخضع للمفاهيم النسبية الزمنية. أما تأويله

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٤٨-١٤٩.
(٢) انظر: الكتاب والقرآن، شحرور، ص١٥٨-١٦٠.

قسم "أم الكتاب" فادعى أن دور الرسول فيه دور مجتهد لأهل عصره فقط، وليس مبينًا لما نزل الله عليه فيما يخص سلوك الناس جميعًا".[١]

أما ما يخص سنة رسول الله ﷺ، فلم يكن بأفضلِ حالًا من كتاب الله عز وجل، فلقد أسقط حجيتها، وجعل النبي مجرد عبقري مجتهد في ما يخص أحاديث الرسالة، ممتنع عن التأويل في أحاديث النبوة، وعد هذا الموقف عبقرية من رسول الله لم نفهمها بل إننا بذلك هجرنا سنته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فكان يصر على تدوين الكتاب وفي الوقت نفسه كان يأمر الصحابة بعدم تدوين أقواله الشخصية، ومن هذا خلص الشحرور إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية، كان دور النبي ﷺ "حيث أخذ المطلق "الحدود في الرسالة" وحوله إلى عالم الحقيقة النسبي الذي واجهه هو نفسه ولو لم يكن كذلك فلا يوجد حاجة إلى تعدد النبوات والرسالات على مر التاريخ... وبهذا كان الإسلام صالحًا لكل زمانٍ ومكانٍ، من حيث الاتصال بالمطلق "الكتاب" ليتفاعل مع الظروف والمراحل التاريخية المتعاقبة فينتج مجتمعًا معينًا وحضارة معينة في كل مرحلة. وهذا هو السبب المحوري للنبي ﷺ وصحابته في حرصهم على الوحي الذي هو المطلق. وأما الباقي فمتروك للإنسان في سياق الزمن. فلا قوالب جاهزة ولا توقف لحركة التاريخ في الإسلام. هذا الشيء الذي تفاده النبي والصحابة ووقعنا فيه نحن، فجمدنا التاريخ، واتهمنا النبي ﷺ بذلك، ونزعنا عن الإسلام أهم صفة من صفاته وهي الحنيفية،... ومن هنا يأتي التعريف الخاطئ برأينا للسنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول ومن فعل أو أمر أو نهي أو قرار... هذا التعريف كان سببًا في تحنيط الإسلام، علمًا أن النبي ﷺ وصحابته لم يعرفوا السنة بهذا الشكل.

مع العلم بأن أسس التشريع الإسلامي هي الكتاب والسنة، وهذا صحيح ولكن ليس الكتاب والحديث... لنضع الآن تعريفًا معاصرًا للسنة: هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود أو وضع حدود

---

[١] التحريف المعاصر في الدين، حبنكة الميداني، ص١٢٥.

عرفية مرحلية في بقية الأمور، مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة "الزمان والمكان والشروط الموضوعية التي تطبق في هذه الأحكام"،... لذا فإن ما فعله النبي ﷺ في القرن السابع في شبه جزيرة العرب هو الاحتمال الأول لتفاعل الإسلام مع مرحلة تاريخية معينة وليس الوحيد وليس الآخر".(١)

أي أن باب الاجتهاد في الأحكام لا يقفل، وباب التأويل في القرآن مفتوح على مصرعيه وكل اجتهاد من الناس في الأحكام أو تأويل في القرآن يدخل في التراث على مر الزمن.

ولا تعد السنة الشريفة وحي عند الشحرور حيث صرح بذلك في كتابه "الدولة والمجتمع" حيث يقول: "إننا نرى أن الحكمة لا تعني السنة أبدًا، والسنة النبوية ليست بوحي قطعًا".(٢)

ثم صرح بترك سنة رسول الله ﷺ فقال: "يجب علينا أن نميز في سنة الرسالة بين الحدود والعبادات والأخلاق والتعليمات. فهناك بعض الأوامر والتنبيهات جاءت إلى النبي ﷺ تخاطبه بعبارة "يا أيها النبي" فهذه الآيات تحتوي على تعليمات وإرشادات أو حالات خاصة بالنبي حصرًا وليس لها علاقة بالحلال والحرام إطلاقًا... أما بقية الأحاديث التي تتعلق بالسلوكيات العامة والاجتماعية فلها أهمية تاريخية فقط، وهي غير ملزمة لأحد وتندرج تحت أحاديث التشريع... أما الأحاديث التي تتعلق بالغيبيات أي بشرح القرآن وتتعلق بالفهم العام للقرآن وليس التأويل، إذ أن النبي ﷺ كان ممتنعًا عن التأويل هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع المفهوم العام للقرآن حيث أن المفهوم العام يتطابق مع الحقيقة والعقل، وإذا لم يتطابق فتهمل".(٣)

ونجد الشحرور في ما سبق لم يكتفِ بتعطيل حجية سنة رسول الله ﷺ، بل عاود

---

(١) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٤٧-٥٤٩.

(٢) الدولة والمجتمع، شحرور، ص٢٣٣.

(٣) الكتاب والقرآن، شحرور، ص٥٥٠-٥٥٤.

السخرية، وبث روح التعالي في كلماته، وهذا يعكس مدى تفشي المرض في قلبه وروحه، ومدى عمق إلحاده وبغضه لشخص رسول الله ﷺ، ولدينه القويم، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك.

الخاتمة:

نحمد الله تعالى على تمام البحث ونذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها، وكانت كالتالي:

١- أرجع د. شحرور وكل من سار في ركبهِ من الحداثيين العرب، جمود الفكر العربي، والتخلف الذي لحق بالمسلمين، إلى تَقيُّد المسلمين بقداسة نصوص الشريعة، وعدم قراءتها قراءة حديثة أو معاصرة، وأجمعوا على أن الخلاص لا يكون إلا بالقراءة النقدية التاريخية، حتى يصبح نصًّا متفاعلًا مع آخر ما توصلت له العلوم الاجتماعية والعلمية والنفسية، كلًّا بحسب قراءته ومنهجه وقناعاته.

٢- أن تأويلات هذه الحثالة من العلمانيين والماركسيين لنصوص القرآن والسنة، تنحى منحى عميقًا يطال ثوابت المسلمين في الله عز وجل، ورسوله ﷺ، وكل الغيبيات.

٣- إن مصطلح الهرمينوطيقا جاء من التأويل المنفلت لنصوص التوراة والإنجيل، والذي أدانته الكنيسة واعتبرته هرطقة وتجديفًا.

٤- أن الشحرور بنى منهجه في نقد وتأويل كتاب الله عز وجل، على المنهج المادي الوضعي، والنظريات الماركسية، وتبنى مذهبًا طبائعيًّا حديثًا في العلم الحديث.

٥- أن الشحرور قال بالأنسنة، فكانت في فكرهِ أساسًا، حاول أن يمزجه بإلحاده الماركسي.

٦- أساس المنهج المادي الوضعي: هو بيان العلاقة بين الوعي والوجود المادي، مع العلم أن مصدر المعرفة عن شحرور في هذا المنهج العالم المادي من حولنا.

٧- أن شحرور يقدم العلم الذي ينبع من المادة على أي علم آخر حتى لو كان مصدره الوحي.

٨- فتح شحرور باب تأويل القرآن الكريم على مصرعيه، ليس فقط للمنافقين من شاكلته، ليشمل أصحاب الكيد المتين من اليهود والنصارى والملحدين، فلا إشكال عليهم، إذ عدهم من المؤمنين.

٩- حين عجز أعداء الإسلام طوال أربعة عشر قرنًا من تحريف كتاب الله لفظًا، لجؤوا إلى حيلة تحريف مدلولاته، بحجة ثبات النص وحركة المحتوى.

١٠- يدعي د. شحرور من أن القرآن عبر عن الوجود الإلهي بأنه وجود موضوعي حقيقي خارج الوعي الإنساني.

١١- يعد القرآن الكريم عند شحرور كتاب الوجود المادي التاريخي.

١٢- عدم تقيد الشحرور بما جاء عن السلف الصالح، وتقيده بمبادئ الماركسية، ونتائج البحث العلمي.

١٣- يؤمن شحرور بنظرية "الانفجار العظيم" للعالم البريطاني "ستيفن هوكنج"، وهي نظرية تقول أن هذا الكون أوجد نفسه بنفسه عن طريق انفجار عظيم، سينتج عنه انفجار آخر.

١٤- عدم التزام الدكتور شحرور بالمنهج اللغوي الذي تبناه في مقدمته.

١٥- تبني شحرور عقائد وأفكار تأله العقل وعلم الفيزياء.

١٦- الوحي عند شحرور، مجرد داعم للأساس المادي للمعرفة، ولا ينظر إليه غالبًا إلا باعتباره نصًّا متممًا لما وصل إليه الإنسان عبر التقدم العلمي.

١٧- الغاية العظمى عند شحرور ومن سار على نهجهم، هي نقل العالم الإسلامي من أصوله إلى أرضيات تخدم قوى العالم المعاصر الضارية.

١٨- نعثر في فكر الدكتور شحرور على أصداء لمذهب "الفيلسوف وايتهيد" القائل بوجوب أن يتغير الدين، وهو يقوم على أن أساس علم الإلهيات متوفر في العلوم الطبيعية، وهذا ما قام به الشحرور في قراءته المعاصرة للقرآن الكريم

١٩- يقول شحرور بفكرة نيابة الإنسان لله في الكون،

٢٠- تجرؤ الدكتور شحرور على الذات الإلهية وتطاوله على مقام التوحيد لله عز وجل، يظهر جليًّا إلحاد الدكتور شحرور وعناده.

٢١- تأويل شحرور للقرآن لم يكن قراءة معاصرة، بل هي قراءات سابقة للملحدين وفلاسفة وماركسيين، الفرق بينهم وبين الشحرور أنهم قاموا بذلك، بعد أن ثبت لهم تحريف كتبهم، وفساد رجال الدين عندهم، فما حجة الشحرور في تطبيقها على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢٢- الله عز وجل عند شحرور مادة أحادية في الكم، غير ثنائية في الكيف، وعلاقته بمخلوقاته متمثلة في قوانين الفيزياء والكيمياء والجاذبية.

٢٣- تعطيل الشحرور لصفات الله عن طريق تحريف دلالات اللغة العربية.

٢٤- الإنسان عند شحرور لا يعد مخلوقًا من نسل آدم، بل أصله من البشر: جنس حيواني من مملكة الحيوان.

٢٥- ينكر الشحرور الوحي بالمعنى المعروف عند المسلمين، فيجعله نقل مادي، ويشبهه بنقل أحداث مباراة كرة قدم تعرض في المكسيك، فيتم نقلها على جهاز التلفاز لمشاهد يجلس في دمشق.

٢٦- عند د. شحرور في القرآن الكريم يتلازم الإنزال مع الجعل، فيكون تنزيل الوحي إلى المدرك الإنساني. إذ التنزيل هو نقل مادي يحصل خارج الوعي الإنساني كالنقل بالأمواج، عن طريق جبريل، فينقش في دماغ رسول الله ﷺ على هيئة رموز غير مدركة، ثم يتم تعريبه وهذا يعد نزول له إلى مدركات الرسول، فيبثه بشكل آلي للناس.

٢٧- طعن الشحرور الصريح بعصمة التلقي للوحي عند رسول الله ﷺ، وذلك عند اتهامه بالصرع، الذي ينتج عنه تعطل حواس الرسول وعقله، مما أدى إلى عدم فهم الرسول للوحي، وبالتالي امتناعه عن تأويله.

٢٨- اتهام الصحابة رضوان الله عليهم بعدم فهمهم للوحي الذي نزل بين ظهرانيهم، وما ذلك إلا نتيجة لعدم فهم الرسول ﷺ له.

٢٩- سلب د. شحرور رجال الدين حقهم في تفسير القرآن، ومنحه للملاحدة والعلمانيين من الراسخين في العلم على حد زعمه.

٣٠- يطعن الشحرور في عصمة التبليغ عند رسول الله ﷺ، وذلك بادعائه أن جزء من كتاب الله لا يعد من كلام الله، وأن مصدره ليس اللوح المحفوظ، وأنه قابل للتزوير والتغير، لذلك هو مرحلي "أم الكتاب" "المحكم".

٣١- فتح باب ترتيب سور المصحف، وذلك باتهامه الصحابة رضوان الله عليهم بأنهم

من قام بترتيب السور والآيات في كتاب الله.

٣٢- إسقاط حجية السنة عند الشحرور، بدعوى أن الرسول ﷺ نهى عن جمعها وتدوينها. وأن الله شهد بتمام الوحي، قبل تدوينها.

فهرس المراجع

١- الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن دراسة نقدية، ماهر المنجد، نسخة تشكل جزءًا من البحث قمت بتحميلها من الشبكة العنكبوتية.

٢- الإنسان والله "لاهوت عقائدي" الجزء الأول، المطران كوركيس كرمو، مطبعة فرنديل، ميشكان، ١٩٨٧م.

٣- الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كحيل مصطفى، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ.

٤- بحث: قراءة في نظريات الإلحاد، من فويرباخ حتى ماركس"، عباس الجمري، صحيفة الوسط البحرينية "العدد ٢٧٦" الإثنين ٩ يونيو ٢٠٠٣م الموافق ٨ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ.

٥- تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرور، كريم اللحام، سلسلة ورقات طابة، رقم ٢٠١٢/٤م.

٦- تجفيف منابع الإرهاب، د. محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، ١٥ جزءًا، بدون طبعة وسنة نشر، قمت بتحميله من الشبكة العنكبوتية.

٨- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، بلا رقم طبعة، ٨ أجزاء.

٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الشفاء الشافي، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، بلا رقم طبعة.

١٠- حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط٢، عام ٢٠٠٤.

١١- الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية.

١٢- الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة؛ فادي إسماعيل، تحميل من الشبكة العنكبوتية.

١٣- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط١ ١٤٢٨هـــ.

١٤- الدولة والمجتمع، دراسات إسلامية معاصرة "في الدولة والمجتمع"، الدكتور: محمد شحرور، مطبعة الأهالي، دمشق. نسخة إلكترونية.

١٥- الدين في طور النشوء، وايتهيد، ماكميلان، نيويورك، ١٩٢٦م.

١٦- رأس المال، كارل ماركس، طبعة موسكو، ١٩٥٤م، قمت بتحميلها من الشبكة العنكبوتية.

١٧- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، بيت الأفكار الدولية.

١٨- العرب والحداثة، دراسة في مقالات الحداثيين، عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، عام ٢٠٠٧م.

١٩- الفلاسفة قبل سقراط، المجلد ١، من طاليس إلى زينو، جوناثان بارنيز، روتلدج وكيغان بول، لندن، .١٩٧٩

٢٠- القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، محمد كالو، بحث لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: أ. د. عبد المنعم بشناتي، كلية الدراسات العليا في جامعة الجنان.

٢١- القرآن والأخلاق والعقل النقدي: أعمال محمد شحرور الأساسية، أندرياس كرستمان، محرر ومترجم. نقلًا عن كتاب: تأملات في بنية الإطار المفهومي عن الشحرور، كريم اللحام، سلسلة ورقات طابة، رقم ٤/٢٠١٢م.

٢٢- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الدكتور محمد الشحرور، الأهالي للطباعة والنشر، سورية.

٢٣- المال والأخلاق، إريك غيل، مترجم، ط٢ فبراير ١٩٣٧م.

٢٤- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، طباعة مجمع الملك فهد، عدد الأجزاء

٣٧، سنة الطبع ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. بلا رقم طبعة.
٢٥- المعجم الفلسفي، تأليف: مراد وهبة، دار قباء الحديثة، الطبعة الخامسة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٦- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن بن فارس، المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط١٣٩٩هـ.
٢٧- مقال "الصراع الفكري بين الماديين والمثاليين حول طبيعة الكون" بقلم يوحنا بيداوييد، منشور في العدد الأول من مجلة "اكد" التي تصدر في مدينة مالبورن، أستراليا.
٢٨- مقال: فلسفة هامبرماس: جوابًا على سؤال ما هو التنوير؟ ترجمة نور الدين علوش، على موقع حكمة من أجل اجتهاد ثقافي وفلسفي.
٢٩- منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، حقوق الطبع محفوظة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٣٠- الموسوعة الحرة، ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية.
٣١- الموسوعة العربية، الفلسفة في العصور الوسطى، قمت بتحميلها من الشبكة العنكبوتية.
٣٢- نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، د. محمد عابد الجابري، ط١، ٢٠٠٦م، مركز دراسات الوحدة العربية.
٣٣- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة "الوصية، الإرث، القوامة، التعددية، اللباس"، الشحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٤- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، تأليف: د. قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف الشريفة، المغرب، ط١، ٢٠١٠م.

٣٥- نظريات الإلحاد: من فيويرباخ حتى ماركس، عباس الجمري، صحيفة السط البحرينية، العدد ٢٧٦، الإثنين: ٩ يونيو ٢٠٠٣م.
٣٦- نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر؛ د. عادل مصطفى، دار الباريق، عمان.
٣٧- نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط (١) /١٤٢٦هـ ٢٠٠٠م، مدخل إلى الهرمنيوطيقا.
٣٨- النظرية التأويلية عند ريكور" لحسن بن حسن، ط١٩٩٢، ١م، دار تينمل مراكش.
٣٩- نظرية النص؛ ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد (١٩٨٨/٣).
٤٠- الهرمنوطيقا الحديثة وفهم النص" لأسعد قطان، مجلة: "الحياة الطيبة"، ع١٤، س١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٤١- الهرمينوطيقا وعلم التفسير بحث مقارن" لمحمد بهرامي، نص مطبوع، فهرست الكندي، مكتبة معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان، ٢٠١٠م.